شبهات المستشرقين
حول الرسول ﷺ والرد عليها

د/ عبد الرحمن صالح الجيران

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت

من ٧٣٣ إلى ٨١٦

Orientalists' Suspicions About The MessengerAnd The Response To It

Prof. Dr. Abdul Rahman Saleh Al Jeeran

Assistant Professor, Department of Islamic Studies, College of Basic Education At the Public Authority for Applied Education and Training in the State of Kuwait

شبهات المستشرقين حول الرسول ﷺ والرد عليها

عبد الرحمن صالح الجيران

قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية الإساسية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، دولة ، الكويت.

البريد الالكتروني as.aljeeran@paaet.edu.kw

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

الهجوم على الإسلام يمتد في جبهات عريضة، وتشير له أسلحة شتى، وخصوم هذا الدين كشفوا عن سرائيرهم، فليس يرضيهم شيء إلا أن يفضوا أهله من حوله، وأن يملؤا الدنيا أراجيف بأن الإسلام دعوة زائفة، وأنه لا يجوز لها البقاء أكثر مما بقيت.

والناظر في كتابات المستشرقين يرى أنهم لم يتركوا نقيصة إلا وقد ألصقوها بالإسلام، ولا حقيقة من حقائق الإسلام الناصعة إلا وقد حاولوا طمسها أو تشويه ملامحها الوضيئة، وكان لرسول الله (ﷺ) القسط الأكبر من هذه النقائص وهذا التشويه وقد سايرهم عن غير وعي بعض المسلمين الذين استهوتهم أنماط الحضارة الغربية وأغمضوا عيونهم عما تشقى به المجتمعات الغربية من مفاسد ناجمة عن الجهل العميق بالإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، وأهم ما ينبغي أن يطلع عليه المسلم الداعية انطباعات وآراء المستشرقين حول نبينا محمد (ﷺ) فيقف على الحقائق النبوية مجردة من لبسهم وزيفهم، ويدفعهم إلى الاتصال بالمراجع الأصلية، لاستكانة الصورة الحقيقية للشخصية النبوية، باستقصاء جوانبها ومناحيها، بل ولعل هذا مما يدعم حصانة ثقافية من تيارات الأفكار الوافدة المغربة.

الكلمات المفتاحية: شبهات ؛المستشرقين ؛ الرسول ؛ والرد عليها.

Orientalists' Suspicions About The Messenger And The Response To It

Abdul Rahman Saleh Al Jeeran
Department Of Islamic Studies, College Of Basic Education, General Authority For Education Practical And Training, State Of Kuwait
Email as.aljeeran@paaet.edu.kw

Abstract:
Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the most honorable messengers, our master Muhammad bin Abdullah, who was sent as a mercy to the worlds, and upon his family, companions and followers in goodness until the Day of Judgment.
The attack on Islam extends on broad fronts, and various weapons are pointed at it, and the opponents of this religion have revealed their secrets, nothing will satisfy them except that they disperse its people around it, and that they fill the world with fears that Islam is a false invitation, and that it is not permissible for it to remain longer than it has remained.
The one who looks at the writings of the orientalists sees that they did not leave a defect unless they attached it to Islam, and there is no truth from the pure facts of Islam unless they tried to obliterate it or distort its luminous features. Some Muslims who were fascinated by the patterns of Western civilization and closed their eyes about the evils that Western societies suffer from due to the deep ignorance of Islam and its validity for every time and place. stripped of their ambiguity and falsity, and prompts them to contact the original references, so that the true image of the prophetic personality can be investigated by investigating its aspects and aspects, and perhaps this is what supports cultural immunity from the streams of incoming ideas.

Keywords: Suspicions; Orientalists; Prophet ; And Respond To It.

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

الهجوم على الإسلام يمتد في جبهات عريضة، وتشير له أسلحة شتى، وخصوم هذا الدين كشفوا عن سرائيرهم، فليس يرضيهم شيء إلا أن يفضوا أهله من حوله، وأن يملؤا الدنيا أراجيف بأن الإسلام دعوة زائفة، وأنه لا يجوز لها البقاء أكثر مما بقيت.

والناظر في كتابات المستشرقين يرى أنهم لم يتركوا نقيصة إلا وقد ألصقوها بالإسلام، ولا حقيقة من حقائق الإسلام الناصعة إلا وقد حاولوا طمسها أو تشويه ملامحها الوضيئة، وكان لرسول الله (ﷺ)القسط الأكبر من هذه النقائص وهذا التشويه وقد سايرهم عن غير وعي بعض المسلمين الذين استهوتهم أنماط الحضارة الغربية وأغمضوا عيونهم عما تشقى به المجتمعات الغربية من مفاسد ناجمة عن الجهل العميق بالإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، وأهم ما ينبغي أن يطلع عليه المسلم الداعية انطباعات وآراء المستشرقين حول نبينا محمد (ﷺ) فيقف على الحقائق النبوية مجردة من لبسهم وزيفهم، ويدفعهم إلى الاتصال بالمراجع الأصلية، لاستكانة الصورة الحقيقية للشخصية النبوية، باستقصاء جوانبها ومناحيها، بل ولعل هذا مما يدعم حصانة ثقافية من تيارات الأفكار الوافدة المغربة.

فلذلك جاء عنوان بحثي هذا:

(**شبهات المستشرقين حول الرسول** (ﷺ) **والرد عليها**)

وبعد فإن أقدم هذه الدراسة المختصرة – وهي نتاج فردي إلى الأمة الإسلامية وخاصة الدعاة إلى الله وإلى القائمين على أمورها، كي تتفتح آذانهم نحو الخطر الداهم، ونستعد جميعًا – أفرادًا وجماعات وشعوبًا للتصدي لهذا الأخطبوط الصهيوني وأعوانه، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

تعريف الاستشراق والمستشرين:

أولاً: **تعريف الاستشراق**:

هو تلك المحاولة التي قام ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشرق وعلومه[١].

أو بعبارة أخرى هو تعبير أطلقه غير المستشرقين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين وشعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلدانهم، وسائر أراضيهم وما فيها من كنوز وخيرات وحضارتهم وكل ما يتعلق بهم[٢].

ثانياً: **تعريف المستشرقين**:

هو لفظ أطلق على المفكرين المشتغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[٣].

أبو بعبارة أخرى هم الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرقيين، ويقدمون دراستهم ونصائحهم ووصاياهم للمبشرين بغية تحقيق أهداف التبشير وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق الاستعمار[٤].

والمستشرق هو في العموم من أبناء اليهود أو النصارى ومن سار على نهجهم، واهتدى بضلالهم من غير اليهود والنصارى من أبناء المسلمين

---

(١) الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة: د/ محمد السيد الدجليند – دار قباء – القاهرة. ص١٠.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة: د. د. عبد الرحمن حبنكة، ص١١٨.

(٣) الاستشراق والمستشرقين: أ/ عدنان محمد وزان. ص١٦، والاستشراق والتبشير قراءة تاريخية، ص١٠.

(٤) أجنحة المكر الثلاثة: ص١١٩، الاستشراق والتبشير: ص١٠.

المستغربين الذين خرجوا على دين الإسلام لأنهم يتفقون مع الاستشراق في آرائه وأفكاره[١].

ومهما اختلفت كل المستشرقين فهم يهدفون جميعًا إلى هدف واحد وهو الإسلام والإجهاز عليه ومن المفيد أن يعرف القارئ الكريم أن مصطلح الشرق يرجع في أصل وضعه إلى مفكري الغرب، فهم الذين قسموا العالم إلى شرق وغرب، وقسموا الشرق إلى شرق أدنى وأوسط وأقصى، ويطلق لفظ الشرق عادة على المنطقة التي تشمل العرب وشعوب آسيا وأفريقيا، أما لفظ الشرق الأوسط فيطلق عادة على المنطقة العربية فقط[٢].

صفات المستشرقين:

يمكن حصرها في الأمور التالية:

١) سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.

٢) سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم.

٣) تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور، وخصوصًا في العصر الأول كمجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله وعظماءه.

٤) تصوير الحضارة الإسلامية تصويرًا دون الواقع وتهوين شأنها واحتقار آثارهم ومساهماتهم.

٥) الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته، والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقين من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم.

---

(١) الاستشراق والمستشرقون: ص١٧-١٨، موقف المسلم من الدراسات الاستشراقية: ص١٣.

(٢) الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية: ص١٠.

٦) إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم والتحكم فيما يفرضونه ويقبلونه من النصوص، وتفسير النصوص وإخضاعها للتحاليل المادية، العلمانية.

٧) تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان تحريفًا مقصودًا، لخلق جو للشك والبلبلة، كما أنهم يسيئون فهم العبارات لجهلهم بذلك وهذا مجال آخر للتحريف.

٨) تحكمهم في المصادر التي ينقلون، فهم ينقلون مثلًا من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي الشريف والسنة المطهرة، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ التشريع الإسلامي والفقه[1].

أهداف المستشرقين:

أولاً: إطفاء نور الله في الأرض، وإخراج المسلمين عن دينهم، فإن أمكن تنصيرهم فذلك، وإلا فإبقائهم لا دين لهم مطلقًا هدف مرجو يحقق للنصارى منافع ومصالح سياسية واقتصادية واستعمارية وغير. ولإخراج المسلمين عن دينهم وسائل كثيرة منها:

١-تنفير المسلمين عن دينهم وحملهم على كراهيته.

٢-تشويه الإسلام، والتشكيك في أساسه، وتوجيه المطاعن له.

٣-تشويه التاريخ الإسلامي، وتشويه حضارة المسلمين، وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د/ مصطفى السباعي، ص١٨٨-١٨٩، الاستشراق والمستشرقين: د/ عدنان محمد وزان – الكويت، ص٢٠-٢١.

٤-نبش الحضارات القديمة وإحياء معارفها، وبعث الطوائف الضالة والحركات الهدامة القديمة.

٥-تزيين ما في المسيحية من تعاليم وأحكام.

٦-استدراج المسلمين للأخذ بالحضارة المادية الحديثة، وما فيها من مغريات للنفوس، ومرضيات للأهواء.

٧-ادعاء أن الفقه الإسلامي مقتبس من القانون الروماني.

٨-ادعاء أن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتلاءم مع التطور الحضاري.

٩-الدعوة إلى نبذ اللغة العربية وتبديل طريقة كتابتها[١].

ثانيًا: حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به ويحمل رايته ويجاهد في سبيله كما حصل للمسيحيين في بلاد الشام، ومصر والشمال الأفريقي وإسبانيا من قبل، حين دخل الإسلام هذه الأصقاع فدخل أهلها في دين الله أفواجًا، وصاروا من دعاة هذا الدين الحنيف.

ثالثًا: معرفة الشرق ودراسة أرضه ومياهه وطقسه وجباله وأنهاره وزروعه وثماره وأهله وعلله وعلمائه ودينه وعقائده وتراثه.. كل ذلك لكي يعرف كيف يصل إليه[٢].

رابعًا: الاستيلاء على الأسواق التجارية، والمؤسسات المالية المختلفة والاستيلاء على الثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية والحصول

---

(١) الاستشراق والتبشير قراءة موجزة: أ/ محمد السيد الدجليند، أجنحة المكر الثلاثة (التبشير – الاستشراق – الاستعمار) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدان: ص١٢٥-١٢٨، الاستشراق والمستشرقون: أ/ عدنان وزان، ص٣٦-٣٩.

(٢) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي: د/ عبد العظيم محمود الديب – كتاب الأمة، ص٣٨-٣٩.

عليها بأبخس الأثمان، وإماتة الصناعات المحلية القديمة، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية(١).

موقف المستشرقين من الرسول (ﷺ):

إن رواد الاستشراق من الكتاب المسيحيين الغربيين في القرون الوسطى وعصر النهضة يجمعون على وصف الرسول (ﷺ)بعدة أوصاف مفتراة، تدور كلها حول اتهامه (ﷺ)بالكذب، وادعاء الوحي، وأنه مبتدع للإسلام، ومؤلف للقرآن، ومن ثم ينسبون إليه الإسلام فيقولون "المحمدية" كما ينسبون المسيحية إلى المسيح.

وعن هذه الفرية تفرعت وانتشرت افتراءات أخرى عديدة قبيحة، منها وصفه (ﷺ)بالسحر، والشهوانية، والدعوة إلى الإباحية الجنسية، والغدر، والعنف ونشر الإسلام بالسيف، وأن الإسلام نفسه نوع من الهرطقة(٢).

أي الدعة والإنشاق عن المسيحية والخروج عليها والردة عنها ففي سنة ١٦٧٩م نشر في فرنسا معجم تاريخي استشراقي ضخم بعنوان – المكتبة الشرقية، الذي كان يعد من أهم وأشهر المراجع الأوروبية عن الشرق وتاريخه حتى القرن التاسع عشر، بل مازال يحظى بالإعجاب والثناء من المستشرقين المعاصرين حتى اليوم(٣).

وفي هذا المعجم وتحت اسم محمد (ﷺ) يقول فيه "هذا هو الآفاق المشهور محمد، مؤسس الهرطقة التي سميت دينًا، والتي يدعوها المحمدية، أن مفسري القرآن، وعلماء المسلمين في الشريعة الإسلامية أو المحمدية قد

---

(١) المرجع السابق: ص٣٨-٣٩، أجنحة المكر الثلاثة ص١٢٨.

(٢) نورمان دانيان: الإسلام والغرب: ص٣٣، ٨٤، ٩٦، ٢٤٦، رؤية إسلامية للاستشراق: أحمد عبد الحميد غراب: المنتدى الإسلامي – الكويت ص٢٨-٢٩.

(٣) تاريخ الإسلام: جامعة كامبردج: سنة ١٩٧٠ المقدمة ص١٦، المرجع السابق، ص٣٠.

أضفوا على هذا النبي الكاذب كل صفات الثناء التي أضفوها الهراطقة (المسيحيون) على المسيح، بينما جردوه من صفات الألوهية(١).

وفي سنة ١٧٣٤م نشرت ترجمة جورج سيل بعنوان – القرآن أو قرآن محمد وحشد فيها الافتراءات الاستشراقية ومنها أن القرآن ليس وحيًا معجزًا، وإنه يحتوي على التكرار والتناقض وإنه مستمد في معظمه من اليهودية، ليس في موضوعاته فحسب، بل كذلك في تقسيمه إلى أجزاء وأحزاب وإلى سور وآيات(٢).

وهذا هو المستشرقي جولد تسيهر الذي يرى أن الإسلام ليس من صنع محمد وحده، بل هو أيضًا من صنع الأجيال التي جاءت بعده العقيدة والشريعة بدأتا على يد محمد (ﷺ) في القرن الأول، ثم أتى المفكرون الصالحون – والظالمون كذلك – فنموا هذا التراث الساذج الذي تركه النبي العربي، وزادوا فيه كمًا وكيفًا، حتى بلغ الحد الذي وصل إليه في عصرنا هذا... بل إن محمدًا نفسه لم يأت بهذا الدين، لا من عند الله، ولا من عند نفسه، لقد نقل أغلب أصوله وفروعه من الرومان والفرس والهنود، واستطاع أن يخرج هذه النقول المجلوبة بنفسه ومشاعره، وأن يقتنع بأنه صاحب رسالة لإصلاح العرب الوثنيين، ثم مضى في طريقه حتى بلغ ما بلغ(٣).

ومن أعاجيب تهمهم ادعاؤهم أن محمدًا كان يقرأ ويكتب، بالرغم من فشلهم في إيجاد أي دليل عليه، وما ذلك إلا ليستطيعوا الزعم بأن القرآن من

---

(١) الاستشراق: إدوارد سعيد: ص٦٥-٦٦، المرجع السابق، ص٣٠-٣١.
(٢) رؤية إسلامية للاستشراق: أحمد عبد الحميد عزاب، ص٢٨-٢٩.
(٣) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين: للشيخ/ محمد الغزالي، ص١٥.

عمله[١]. إلى غير ذلك من الأكاذيب التي قالها المستشرقون ولا سند لها إلا التعصب الأعمى ولو تجرد هؤلاء من تعصبهم لتفتحت قلوبهم للحق، ولندموا على عمرهم الضائع في التقليد الأعمى.

ولقد بلغ حقد هؤلاء الأعداء على الإسلام والمسلمين أن يلقنوا أطفالهم العداوة للإسلام حتى في الأناشيد التي تعلم لصغارهم في المدارس وهناك مثلاً في إحدى الأناشيد الإيطالية.

"إني ذاهب يا أمي إلى الجهاد لمحو القرآن وإذا مت فلا تحزني علي، وإن سئلت عن السبب في عدم حدادك علي فقولي – وأنت فرحة – لقد استشهد في سبيل القضاء على الإسلام[٢].

الرد على الشبهات:

هناك ردود كثيرة نذكر منها: يكفينا الرد على هؤلاء ما كتبه فضيلة الشيخ: محمد الغزالي رحمة الله عليه فمن أقواله:

١)ونحن نتساءل هل هذا المستشرق ينكر الوحي جملة، إذا كان الأمر كذلك فلا نبواكت البتة، وسقطت ديانته قبل أن تسقط الديانة التي يهاجمها، وارتفعت الثقة بكل إنسان زعم يومًا أن ملكًا جاءه وأن وحيًا نزل عليه، فكلهم كذبة.

٢)وإن كان يؤمن بالوحي، ويصدق أنبياء اليهودية أو النصرانية وحدهم، قلنا له، ما سر هذه التفرقة؟ أهو تعصب لما ورثت عن أبائك وقومك؟ لك ذلك، ولكن لا يسمى هذا المسلك علمًا نزيهًا ولا بحثًا محايدًا.

---

(١) نبي الإسلام شخصيته – حياته رسالته: أ/ محمد خير الدرع: مكتبة الأسد الدرع – دمشق، ص٦٧.

(٢) التبشير والاستشراق: أ/ محمد عزت – ص٥٤.

٣)وإن كان اتهام نبي بالكذب، ووصف آخر بالصدق نتيجة تقليب لدلائل الإثبات وتمحيص لحقيقتها، فهذا مجالنا الذي لا يغلبنا فيه أحد، فهات ما عندك.

٤)إن محمدًا ترك بين أيدينا ما يشهد بنبوته، فما الذي تركه غيره؟ أعني إن جمهور الأنبياء مات من دهر بعيد، وقد وصلت إلينا أسماؤهم ومواريثهم الروحية والفكرية فقط، وأنا والميسيو "جولد تسيهر" وغيرنا من الناس، لا يعرف قيم هؤلاء الرجال إلا من خلال النظر الفاحص لكتبهم وتعاليمهم.

٥)وإني لأقولها صريحة لا تتحمل لبسًا ولا التواء: إنني آمنت بمحمد بعد ثقة من أن تعاليمه طابقت ثمرات العقل الحر.

٦)وإنني لم أؤمن بعيسى وطهارة نسبه وعفاف أمه، إلا لأن محمد الذي استيقنت من صدقه هو الذي أكد لي ذلك.

٧)ولولا احترامي للإسلام احترامًا نابعًا من جهد عقلي محض ما قبلت إلى قيام الساعة أن أستمع لقصة عيسى بن مريم على النحو الذي جاءت به.

٨)ثم إن لمحمد كتابًا أرى أنه من عند الله، ويرى المستشرقون أنه من عند نفسه، فماذا لموسى وعيسى؟ أليست لهم كتبًا من هذا الطراز، أو بالتعبير الصحيح لم تصل إلينا كتب بهذا الجمال المبين.. غاية ما هنالك صحائف كتبها أناس كثيرون تضمنت من تعاليم أولئك النبيين، وقيمة هذه الصحائف من ناحيتي السند والمتن تشبه – مع التجوز – قيمة بعض الأحاديث المروية عن الرسول محمد بن عبد الله (ﷺ)، وهي

الأحاديث التي لم يرى (جولد تسيهر) أي حرج في نفيها حينًا وإبداء الريبة فيها حينًا آخر[١].

وأما الرد على من قالوا أن محمدًا كان يقرأ ويكتب: إنه لقول يدل على تعصب لا يقبله أي عاقل لأسباب كثيرة منها:

١)لو كان يقرأ ويكتب لما اضطر إلى الاعتماد على غيره في تلاوة الرسائل السرية وكتابة المعاهدات المختلفة.

٢)لو كان يقرأ ويكتب لشاع ذلك عنه مهما حاول إخفاؤه لأنه كان يتلقى القرآن منجمًا، فلو كان مؤلفه لأنجزه في مرة ثم استراح من العناء كسائر المؤلفين.

٣)لو كان يقرأ ويكتب لشابه أسلوبه في القرآن أسلوب أحاديثه الصحيحة لأنها من مصدر واحد.

٤)لقد شهد الوحي نفسه بأميته إذ جاء فيه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُون﴾[٢]، ولم يعترض على هذه الشهادة أحد من أعدائه مع شدة حرصهم على إيجاد أي ثغرة للقدح فيه[٣].

٥)شعارنا في الرد على هؤلاء قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾[٤]

وقوله تعالى ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين: ص١٧، ١٨.

(٢) سورة العنكبوت: آية رقم: ٤٠.

(٣) نبي الإسلام – شخصيته – حياته – رسالته: أ/ محمد خير الدرع: ص٦٧-٦٨.

(٤) سورة آل عمران: آية رقم ١١٩.

(٥) سورة البقرة: آية رقم ١١٨.

الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١].

٦)النتيجة التي نستخلصها مما يكتبه المستشرقون ضد الإسلام، أنهم إنما يكتبون عنا بروح التعصب والتقليد الأعمى لأسلافهم والمناهج العدائية للإسلام، التي تربوا عليها ونشئوا في جوها، ومن هنا لا يجوز للعاقل أن يقبل ما يقولون ضد الإسلام، إلا بما يستحقه من الاستهجان والرفض، لأنه لا يقوم على أساس، ولا يصدر إلا عن نفوس طحنها البغض والتعصب الأعمى[٢]، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٣]، ويقول الله تعالى على سبيل التأكيد والحزم والتعميم قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٤]، وسيبقى الإسلام معجزة السماء على الأرض وعاملًا فعالًا في حياة العرب والمسلمين والإنسانية قاطبة، وهذا ما أكده الرسول صلوات الله عليه لزعماء قريش في مكة بعد نزول الرسالة حين قال لهم: "ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف عليكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولًا، وأنزل على كتاب، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئت به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه على اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم[٥].

---

(١) سورة البقرة: آية رقم ١٠٥.

(٢) التبشير والاستشراق: أ/ محمد عزت: ص٥٥.

(٣) سورة التوبة: آية رقم ٣٢.

(٤) سورة المائدة: آية رقم ٦٤.

(٥) سيرة ابن هشام: ص٣١٦، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

١) من أقوالهم:

١- يقول المستشرق: (كونت دواسترو) إن محمدًا ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مرارًا نبيًا أميًا وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه لأن القراءة والكتابة كانتا معدومتين في ذلك الحين من تلك الأقطار[١].

٢- ويقول المستشرق (هنري دي كاستر): في كتابه "الإسلام سوانح وخواطر" يقول: "الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا تجد فيه مرتدين، ومن العسير بل من المحال أن تتصور صورة دقيقة للحالة النفسية التي يكون عليها المسلم، إذا ما حاول أحد المسيحيين، أن يقنعه باعتناق المسيحية، لعلنا نجد صورة مقارنة شيئًا ما لهذا إذا ما تخلينا على إحساسات وشعور رجل مسيحي مستنير، يحاول أحد الوثنيين أن يجتذبه إلى اعتناق خرافاته المرذولة[٢]. ويقول المستشرق (ماركس دوردن) في كتابه: محمد وبوذا المسيح: أليس محمد نبيًا على وجه من الوجوه؟ ثم أجاب قائلًا: إنه على اليقين لصاحب فضيلتين من فضائل الأنبياء فقد عرف حقيقة عن الله لم يعرفها الناس من حوله، وتمكنت من نفسه نزعة باطنية لا تقاوم لنشر تلك الحقيقة، وإنه لخليق في هذه الفضيلة أن يسامي أوقر الأنبياء شجاعة وبطولة بين بني إسرائيل، لأنه جازف بحياته في سبيل الحق، وصبر على الإيذاء يومًا بعد يوم عدة سنين وقابل النفي والحرمان والضغينة، وفقد مودة الأصحاب غير مبالاة، فصابر على الجملة أقصى ما يصبر عليه إنسان دون الموت الذي نجا منه بالهجرة... فإذا سأل سائل ما الذي دفع بمحمد إلى

---

(١) التبشير والاستشراق: أ/ محمد عزت، ص٥٥.

(٢) المرجع السابق: ص٧٠.

إقناع غيره، حيث رضى الموحدون بعبادة العزلة؟ فلا مناص لنا أن نسلم إنه هو العمق والقوة في إيمانه بصدق ما دعا إليه[١].

٣- وهذا هو المستشرق الألماني (لايبنتر): يقول في كتاباته: إن محمدًا لا يبتعد عن التعاليم الكبرى للديانة الحقيقية الأصلية، وقد قام أتباعه بنشر هذه التعاليم إلى أقصى شعوب آسيا وأفريقيا، وفي كثير من البلاد قام الإسلام بالقضاء على المعتقدات الوثنية التي وقف أمام التعاليم الصحيحة عن وحدانية الله وخلود الروح[٢].

وخلاصة القول:

إن الأعمال الاستشراقية وغيرها عن الرسول (ﷺ) اتخذت طابعين:

١- طابع السلبية: بما يتسم به من التطرف والتبشير والتغريب، وهو القادر على تغذية النفوس المريضة بالعداء ضد الإسلام ونبيه، وتشويه الجوانب الكريمة من شخصيته، وطرح الشبهادات والطعون على بعض أحداث السيرة الشريفة، وتبين هذا في أكثر آرائهم ودراساتهم.

٢- طابع الإيجابية: بما يتسم به من الموضوعية والتجرد في البحث الذي يلقي بأضوائه على شيء من حقائق السيرة عند المسلمين وغيرهم، ويتضح هذا في كثير من التراث العربي الإسلامي الذي تناولوه بالتحقيق والنشر، إلى جانب العديد من الدراسات المنصفة والآراء المعتدلة[٣].

---

(١) عبقرية محمد: للأستاذ عباس محمود العقاد، التبشير والاستشراق ص٧٧.

(٢) مجلة الوعي الإسلامي ربيع الأول سنة ١٣٩٣، أبريل ١٩٧٣ بحث للشيخ طه الولي.

(٣) الرسول (ﷺ)في كتابات المستشرقين: أ/ نذير حمدان، ص٤١.

شبهات حول السنة

الشبهة الأولى:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١)، يفهم الرافضون لحجية السنة أن المراد من الذكر في الآية "القرآن" وإن الضمير في قوله تعالى ﴿لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عائد على القرآن، وإن الآية فيها حصر، طريقة الجار والمجرور.

وهذا الحصر يفيد عندهم. قصر الحفظ على القرآن وحده، دون ما عداه، فلو كانت السنة مصدرًا أساسيًا في التشريع الإسلامي لتكفل الله بحفظها كما تكفل بحفظ القرآن الكريم(٢).

الرد على الشبهة:

١- لو كان المراد من الذكر القرآن لصرح الله به باللفظ كما صرح به في كثير من الموضوعات.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٣).

قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيد فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ﴾ (٤).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (٥).

قال تعالى: ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ (٦).

---

(١) سورة الحجر: آية رقم ٩.
(٢) السنة الإسلامية: د/ رؤوف شلبي: ص٤٨.
(٣) سورة الإسراء: آية رقم ٩.
(٤) سورة البروج: آية رقم ٢١-٢٢.
(٥) سورة القمر: آية رقم ١٧.
(٦) سورة الإسراء: آية رقم ٦.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[١].

٢- إن كلمة الذكر في الآية الكريمة لا يقتصر معناها على القرآن وحده، بل المراد بها شرع الله ودينه الذي بعث رسوله، وهو عام يشمل القرآن والسنة لقوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون﴾ [٢].

فأهل الذكر هم أهل العلم بدين الله وشريعته ولا شك أن الله سبحانه وتعالى كما حفظ كتابه، حفظ سنة نبيه بما هيأ لها أهل العلم الذين أفنوا أعمارهم في سبيل جمعها وحفظها وتدارسها وتمييز صحيحها من دخيلها مثل الإمام البخاري والإمام مسلم والإمام الترمذي والإمام النسائي والإمام أحمد والإمام مالك وغيرهم من الأئمة الذين يشهد لهم التاريخ[٣].

٣- لو كان المراد بالذكر القرآن وحده لعبر عنه بالضمير "إنما نحن نزلناه" إذ افتتاح السورة فيه نص وذكر للقرآن ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِين﴾[٤] والتعبير بالضمير في نظر اللغة أجود لأن العلم في المرتبة الثانية من الضمير[٥] إذ هو أعرف المعارف، وهو عمل يتفق مع منزلة القرآن وتعتمده وتعتمده الصناعة الإعرابية.

٤- قال الإمام بن حزم: لا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله فهو ذكر منزل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون إلا يضيع منه.

---

(١) سورة الزخرف، آية رقم ٣١.
(٢) سورة الحجر، آية رقم ٩.
(٣) السنة ومكانتها في التشريع: ١٥٦-١٥٧.
(٤) سورة الحجر: آية رقم ١-٢.
(٥) السن الإسلامية: ص٤٩.

ثم قال رحمه الله: ردًا على من زعم أن المراد بالذكر في الآية القرآن وحده، هذه دعوى كاذبة مجردة من البراهين، وتخصيص للذكر بلا دليل.. والذكر اسم واقع على كل ما أنزل على نبيه (ﷺ) من قرآن وسنة يبين بها القرآن[١].

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢].

فصح أنه عليه الصلاة والسلام مأمور ببيان القرآن للناس، وفي القرآن الكريم مجمل كثير لا تعلمه إلا ببيان النبي (ﷺ)، فإذا كان بيانه عليه السلام لذلك المجمل غير محفوظ ولا مضمون سلامته مما ليس منه فقد بطل الانتفاع – إذا – بنص القرآن.. وهذا غير حاصل[٣].

٥- ويرشح الاحتمال بأن الذكر المراد به الشريعة التي هي القرآن والسنة كما تناولته السورة بالآية: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ [٤].

في ذكر موقف الأمم السابقة مع رسلهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِين﴾ [٥].

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ [٦].

قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِين﴾ [٧].

---

(١) الأحكام: لابن حزم: ح١ ص١٠٩.
(٢) سورة النحل: آية رقم ٤٤.
(٣) المرجع السابق: الأحكام: ج١ ص١٠٩.
(٤) سورة الحجر: آية رقم ٩.
(٥) سورة الحجر: آية رقم ١٠.
(٦) سورة الحجر: آية رقم ١١.
(٧) سورة الحجر: آية رقم ١٢.

قال تعالى: ﴿ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِين﴾ (١).

والأنبياء يكفلون الأمم بالشرائع، والشريعة: كتاب الله وسنة نبيه، والذي يستعرض حالات الأمم مع الأنبياء يقف على محاجات الكافرين مع الرسل، تدور كلها حول التكليف الذي مصدره ما ينزله الله بالوحي وما يشرعون الرسول بالسنة. وتكون الآية التي معنا قد نبهت على أمر خطير. هو إنه إذا كان الأمر في الأمم السابقة ينتهي إلى إلغاء الشريعة بعد معارك عنيفة بين الرسل وأممهم، فإن هذه الشريعة قرآنًا وسنة سنحفظها ولن ينال الكافرين من كيدهم إياها إلا خسارًا، لأنه وعد الله ولن يخلف الله وعده وكان أمر الله مفعولًا. وعلى ذلك فإن الذكر في الآية مراد به الشريعة، ويكون الضمير في قوله "له" عائد على الشريعة بمصدريها الأساسين. القرآن والسنة، إذا لا شريعة إلا بمصدر، ومصدر الشريعة في الإسلام القرآن الكريم والسنة المطهرة(٢).

الشبهة الثانية:

يقول الله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾(٣).

ويقول أيضًا: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾(٤).

وشبهتهم في هذا:

إنهم فهموا الآية على أن القرآن قد حوى كل شيء من أمور الدين وبينه تمامًا بحيث لا تحتاج الأمة إلى شيء سواه في التشريع فإنها إن احتاجت إلى شيء سواه في التشريع كان القرآن غير مستوعب لكل أمور الدين، وكان

---

(١) سورة الحجر: آية رقم ١٣.
(٢) السنة الإسلامية: د/ رؤوف شلبي: ص٥١.
(٣) سورة النحل: آية رقم ١٩.
(٤) سورة الأنعام: آية رقم ٢٨.

مفرطًا غير مبين، وهذا يستلزم عدم الصدق في خبر الله تعالى، وهو محال، فما أدى إليه يكون محالًا[١].

والرد على هذه الشبهة:

١- أن القرآن الكريم قد حوى أصول الدين وقواعد الأحكام العامة، ونص على بعضها بصراحة، وترك بيان بعضها الآخر لرسول الله (ﷺ)[٢].

٢- أن القرآن الكريم لم يتعرض لتفصيل الأحكام الجزئية التي وردت في بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ [٣] ولكن النبوة عن طريق الوحي هي التي فصلت ووضحت وعملت كل هذه التفصيلات للناس بالقول والعمل، وهنا يضع القرآن الكريم قا عدة رئيسة عامة ترد على مزاعم الرافضين حجية السنة فيحدد عمل النبوة مع وجود القرآن نفسه[٤]، قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[٥].

٣- يؤكد القرآن الكريم إن كل ما يرد عن رسول الله (ﷺ) أمر ونهي، أو فعل أو ترك، أو ترغيب أو تهديد، إنما هو مقبول عند الله بل إنه من عند الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٦].

٤- يوضح هذا التأكيد ما يرويه العرباض بن سارية رضي الله عنه. يوشك أحدكم أن يكذبني على أريكته، يحدث بحديثي، فيقول: بيني وبينكم كتاب الله،

---

(١) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين: د/ رؤوف شلبي، ص٤٣.
(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د/ مصطفى السباعي، ص١٥٣.
(٣) سورة البقرة: آية رقم ٤٣.
(٤) السنة الإسلامية، د/ رؤوف شلبي، ص٤٥-٤٦.
(٥) سورة الحشر: آية رقم ٧.
(٦) سورة النجم: آية رقم ٣-٤.

فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه، وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله[١].

٥- مادام الله أرسل رسوله للناس بأحكام دينهم، وأوجب عليهم اتباعه، كان بيانه للأحكام بيانًا للقرآن، ومن هنا كانت أحكام الشريعة من كتاب وسنة وما يلحق بها ويتفرع عنهما من إجماع وقياس، أحكامًا من كتاب الله تعالى، إما نصًا، وإما دلالة، فلا مناه بين حجية السنة وبين أن القرآن جاء تبياناً لكل شيء[٢].

الشبهة الثالثة:

١- يقول فيها أن الرسول (ﷺ)نهى عن كتابة السنة فقد ورد عنه (ﷺ) أنه قال: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار[٣].

٢- وكذلك فعل الصحابة والتابعون، فقد أخرجه الحاكم عن عائشة أن أبا بكر رضي الله عنه أحرق خمسمائة حديث كتبها وقال خشيت أن أموت فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك[٤].

٣- وكذلك فعل زيد بن ثابت رضي الله عنه إذ دخل على معاوية فسأله معاوية عن حديث فأخبره به فأمر معاوية إنسانًا يكتبه، فقال له زيد: إن رسول الله (ﷺ) أمرنا ألا نكتب شيئًا من حديث فمحاه[٥].

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان حديث رقم ١١٤٧ مسند الإمام أحمد ج٤

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د/ مصطفى السباعي، ص١٥٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد: باب التثبت في الحديث ١٢٩/١٨.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د/ مصطفى السباعي، ص١٥٤.

٤- ولقد عزم عمر مرة أن يكتب السنن، ثم عدل عن ذلك وقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن فإني ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني – والله – لا أشوب بكتاب الله بشيء أبدًا(١).

٥- يقولون لم تدون السنة إلا في عصور متأخرة بعد أن طرأ عليها الخطأ والنسيان، ودخل فيها التحريف والتغيير وذلك مما يوجب الشك بها وعدم الاعتماد عليها في أخذ الأحكام(٢).

الرد على هذه الشبهة:

يتلخص فيما يأتي:

١- إن نهيه (ﷺ) عن كتابتها كان في أول الأمر حرصًا على القرآن، وتضافر جهود الكتبة من الصحابة – نظرًا لقلتهم على كتابة القرآن وتدوينه.

٢- ليست الحجية مقصورة على الكتابة، فإن الحجية تثبت بأشياء كثيرة كالتواتر، ونقل العدول الثقات، والكتابة، والقرآن نفسه لم يجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه – بناء على المكتوب وحسب، بل بتواتر حفظ الصحابة لكل آية منه، وليس النقل عن طريق الحفظ باق ضبطًا وصحة من النقل بالكتابة خصوصًا من قوم تكثر فيهم الأمية – فكان اعتمادهم الأول على الحافظة(٣).

٣- لعل النهي عن الكتابة أول الأمر من باب التيسير على الأمة، إذ أن السنة كبيرة الحجم تشمل أقوال الرسول (ﷺ) وتشريعاته منذ مبعثه إلى وفاته

---

(١) المرجع السابق: ص١٥٤. دراسات في الثقافة الإسلامية: ص٢٥٤.
(٢) المرجع السابق: ص١٥٤.
(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ص١٢٩، دراسات في الثقافة الإسلامية: ص٢٥٥.

(ﷺ) فلو أمر بكتابتها مع القرآن لنالهم من الحرج والمشقة مالا قبل لهم به، فكان من الرحمة بالأمة قصر وجوه الكتابة على القرآن(١).

٤- لعل النهي كان مقصورًا على الصحابة دون بعض، فلربما كان نهيه (ﷺ) خاصًا بمن يخشى من الاعتماد على الكتابة دون الحفظ(٢).

٥- لقد ثبت بالأحاديث الصحيحة أنه (ﷺ) أمر بكتابة السنة، وكتبها بعض أصحابه والدليل على ذلك: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قالت لي قريش تكتب عن رسول الله (ﷺ)؟ إنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر فأتيت رسول الله (ﷺ) فقلت: يا رسول الله إن قريشًا تقول تكتب عن رسول الله، وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر قال، فأومأ إلى شفتيه فقال رسول الله (ﷺ): "والذي نفسي بيده ما يخرج ما بينهما إلا حق فاكتب"(٣).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن خزاعة قتلوا رجلًا من بني ليث – عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك النبي (ﷺ) فركب راحلته فخطب فقال: "إن الله حبس عن مكة القتل، وسلط عليهم رسول الله (ﷺ) والمؤمنين وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولن تحل لأحد بعدي إلا أنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلي شوكها ولا يعضد شجرها، ولا تلتقط ساقطها إلا لمتشدد، فمن قتل له قتيل فهو بخير الناظرين: أما إن يعقل، وإما أن يقاد أهل القتيل فجاء رجل من أهل اليمن فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال رسول الله (ﷺ) اكتبوا لأبي شاة(٤).

---

(١) المرجع السابق: ص١٤٢، المرجع السابق: ص٢٥٥.

(٢) المراجع السابقة، السنة الإسلامية، د/ رؤوف شلبي: ص٥٦-٥٩.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب العلم: باب الأمر بكتابة الحديث ١/١٠٤-١٠٥.

(٤) فتح الباري: ج١٢ ص٧٥٥.

٦- ثبت أن بعض الصحابة كانت لهم صحف يدونون فيها بعض ما سمعوه من رسول الله (ﷺ) - كعلي كرم الله وجهه - الذي كانت عنده صحيفة فيها أحكام الدية على العاقل وغيرها(١).

٧- هناك أحاديث يأمر فيها رسول الله (ﷺ) بعدم تدوين السنة، وأحاديث أخرى يأمر فيها الرسول (ﷺ) بتدوين السنة ونوفق بينهما بما يأتي:

أ- إن النهي كان في حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله على الكتابة، والأمر بالتدوقين لمن لا يوثق بحفظه(٢).

ب- أن يكون هذا من منسوخ السنة بالسنة، كأن نهى أول الأمر، ثم رأى بعد أن تكتب وتقيد، أو أن يكون الإذن لمن لا يخاف عليه من الصحابة الخلط بين الحديث والقرآن والنهي لمن خاف عليه ذلك(٣).

ج- تحرج الصحابة من الكتابة نوع من الورع وشدة الحرص والاحتياط في الدين مخافة أن يخطئوا(٤).

وبذلك تبطل حجة القائلين بعدم حجية السنة، بناء على أمره (ﷺ)بعدم تدوينها لثبوت أمره بتدوينها.

وهذه الأحاديث التي جاءت بعد الكتابة، ثم اتفاق الأئمة بعد ذلك على جواها، كل هذا يدل على أن حديث النهي عن الكتابة منسوخ، وأنه في أول الأمر حين خيف اشتغاله عن القرآن، وحين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن، وحديث أبي شاه في أواخر حياة النبي (ﷺ)(٥).

---

(١) جامع بيان العلم: لابن عبد البر ٧٦/١، السنة ومكانتها في التشريع: ص٦٤.
(٢) على شرح مسلم ١٣٠/١٨.
(٣) تأويل مختلف الحديث: ص٢٨٦.
(٤) دراسات في الثقافة الإسلامية: د/ سعد المرصفي، ص٢٥٧.
(٥) مذكرة الثقافة الإسلامية: د/ محمد عبد السلام: جامعة الكويت، ص٢٠٧.

الشبهة الرابعة:

قولهم: لقد ورد عن النبي (ﷺ) ما يدل على عدم حجية السنة ومن ذلك:

١- قوله (ﷺ) إن الحديث سيفشو عني، فما آتاكم يوافق القرآن فهو عني، وما أتاكم يخالف القرآن فليس مني[١].

فإذا كان ما روى من السنة قد أثبت حكمًا شرعيًا جديدًا كان ذلك غير موافق القرآن، وإن لم يثبت حكمًا جديدًا لمحض التأكيد والحجة هو القرآن فقط[٢].

الرد على هذه الشبهة:

وقد أجاب العلماء على هذه الشبهة بما يأتي:

١- قال الشافعي رحمه الله هذه الرواية في الحديث الأول منقطعة عن رجل مجهول ونحن لا نقبل هذه الرواية في شيء[٣].

٢- وقال ابن حزم لعلها: أنأخذ رواية هذا الحديث من الحسين بن عبد الله وهو من الزنادقة[٤].

٣- وقال البيهقي هذا الحديث فيه خالد ابن أبي كريمة عن أبي جعفر، وخالد مجهول ليس بصحابي فالحديث منقطع[٥].

٤- أن من المتفق عليه بين العلماء، إن من دلائل وضع الحديث أن يكون مخالفًا للكتاب والسنة القطعية، فإذا جاءنا حديث بحكم يخالف أو لا يوافق ما في كتاب الله من أحكام ولا مجال للتأويل، حكمنا بوضعه باتفاق[٦].

---

(١) دراسات في الثقافة الإسلامية: د/ سعد المرصفي، ص٢٥٧.

(٢) المرجع السابق: ص٢٥٧، مذكرة الثقافة الإسلامية – جامعة الكويت – ص٢٠٧.

(٣) الرسالة: للإمام الشافعي: ص٢٢٥.

(٤) الأحكام لابن حزم ٧٦/٢.

(٥) مفتاح الجنة للإمام البيهقي: ص٦-١٥.

(٦) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د/ مصطفى السباعي، ص١٦٢.

٥- إجماع أهل العلم على أن السنة الصحيحة لا تخالف كتاب الله، فما جاء في بعض الأحاديث من أحكام تخالفه فهي مردود باتفاق لذلك يقول ابن حزم: لا سبيل إلى وجود خبر صحيح مخالف لما في القرآن أصلًا، وكل خبر شريعة فهو إما مضى إلى ما في القرآن ومعطوف عليه ومفسر لجملته، وأما مستثنى منه مبين لجملته، ولا سبيل إلى وجود ثالث[١].

٦- وقد أيد هذا الكلام الإمام الشاطبي في قوله "إن الحديث وحي من الله لا يمكن فيه التناقض من كتاب الله، نعم يجوز أن تأتي السنة بما ليس فيه مخالفة ولا موافقة، بل بما يكون مسكوتًا عنه في القرآن، إلا إذا قام البرهان على خلاف هذا الجائز فحينئذ لابد في كل حديث من الموافقة لكتاب الله[٢].

وخلاصة القول:

إن إنكار حجية السنة والادعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده لا يقول به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة، ويصادق الواقع فإن أحكام الشريعة إنما ثبت أكثرها بالسنة فلا سبيل إلى فهم القرآن إلا عن طريق السنة الصحيحة التي بها يعلم المفسر أسباب النزول، والظروف والمناسبات، والوقائع الخاصة التي نزلت فيها آيات القرآن الكريم، ولا سبيل إلى معرفة كل ذلك إلا عن طريق السنة الصحيحة[٣].

الشبهة الخامسة:

قالوا: إن خبر الأحاد غير مقبول كدليل:

١- توقف بعض الصحابة في العمل به وطلبهم شاهدًا أو يمينًا.

(١) الأحكام للإمام ابن حزم ٢/٨٠-٨٢.

(٢) الموافقات للإمام الشاطبي ٤/٢١.

(٣) السنة النبوية وعلومها: د/ أحمد عمر هاشم – ص٤٠.

٢- ولأن الصحابة لم يكثروا، من رواية السنة وقصروا العمل على القرآن الكريم والمشهور من الأحاديث، واجتهدوا بالرأي بعد ذلك[١].

الرد على هذه الشبهة:

نقول: لقد اتفق جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم على وجوب العمل بخبر الواحد وإنه حجة، ويفيد الظن، ومنع من وجوب العمل به بعض طوائف، كالروافض والقدرية وغيرهم من المتكلمين[٢].

والدليل على وجوب العمل بخبر الواحد ما يأتي:

١- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [٣].

والنبأ هو الخبر، وهو نكرة في سياق الشرط فيعم كل خبر ويدخل فيه الخبر الذي يتعلق بالرسول (ﷺ)قبل غيره لأهميته، وقد أوجب الله تعالى التثبيت فيه لوجود الفسق، فإذا انتقى هذا السبب بأن كان المخبر ثقة عدلًا قبل الخبر من غير تثبيت ولا توقف[٤].

٢- والدليل من السنة على قبول خبر الواحد، قوله (ﷺ) "نضر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه[٥].

وقد تواتر عن الرسول (ﷺ) أنه كان يبعث بكتبه ويلزم المسلمين العمل بالأحاد منها.

(١) السنة النبوية: ص٤٣.
(٢) المرجع السابق: ص٤٢.
(٣) سورة الحجرات، آية رقم: ٦.
(٤) السنة النبوية وعلومها: د/ أحمد عمر هاشم – مكتبة غريب – القاهرة – ص٤١.
(٥) رواه أحمد في مسنده ج١ ص٤٣٦ عن زيد بن ثابت.

٣- إجماع الصحابة على الاستفادة من الوقائع الكثيرة التي كانت تحدث، وتواتر عنهم في العمل بخبر الواحد، وكثيرًا ما يكون لهم رأي في أمر من الأمور، فإذا جاءهم خبر عن رسول الله (ﷺ) أخذوا به وتركوا آراءهم، كما كانوا يرجعون إلى بيت النبوة في بعض ما يحتاجون إليه، فيسألون أمهات المؤمنين رغبة منهم في الوقوف على حكم النبي (ﷺ) في مثل هذه الأمور وعلى هذا النهج سار التابعون من بعدهم[١].

٤- والرد على أن الصحابة تركوا الحديث الصحيح ولجأوا إلى الرأي، إن هذا الكلام مردود، وتشهد بذلك الوقائع الكثيرة المأثورة عنهم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول "إياكم والرأي فإن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلتت منهم أن يحفظوها فقالوا في الدين برأيهم[٢].

والصحابة رضوان الله عليهم لم يجتهدوا بالرأي إلا بعد البحث عن الحديث، فإذا لم يجدوا اجتهدوا برأيهم، فإذا جاءهم بعد ذلك حديث عن رسول الله (ﷺ) اتبعوه وتركوا الرأي والدليل على ذلك:

ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) لما بعثه إلى اليمن قال له: كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله قال فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال فبسنة رسول الله، قال، فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: اجتهد رأيي ولا آلو، قال معاذ: فضرب رسول الله (ﷺ) صدري ثم قال: "الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله"[٣].

---

(١) مكانة السنة في الإسلام: د/ محمد أبو زهرة ص٢١، المرجع السابق ص٤١.
(٢) أعلام الموقعين: ج١، ص٤٦.
(٣) رواه أحمد في مسنده: ج٥ ص٢٣.

١)**شروط العمل بخبر الواحد**:

١- أن يكون متصل السند برسول الله (ﷺ).

٢- خلوه من الشذوذ والعلة.

٣- ألا يخالف السنة المشهورة قولية كانت أو فعلية.

٤- ألا يخالف ما كان عليه الصحابة والتابعون وألا يخالف عموم الكتاب أو ظاهره.

٥- ألا يكون بعض السلف قد طعن فيه.

٦- ألا يشتمل الحديث على زيادة في المتن أو السند انفرد بها راوية عن الثقات(١).

٢)**شبهات حول تعدده (ﷺ) للزوجات**:

لقد آثار المبطلون حول تعدد زوجات الرسول (ﷺ)العديد من الشبهات فهذا هو المستشرق لامانس يحاول أن يجعل كل فضيلة في الإسلام أن تقابلها رذيلة أي أن طريقته في الكتابة "اعكس تصب".

وهي ليست طريقة علمية، وإنما هي طريقة ملفقة تبنى على الكذب والخداع، فمثلًا من صفات سيدنا منحمد (ﷺ) أنه الأمين وأنه شجاع يجابه المخاطر، رغم هذا يصوره هذا القسيس والعياد بالله على عكس ذلك تمامًا إشباعًا لأحقاده الدنيئة الدفينة.

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: ص٧٣، السنة النبوية وعلومها: د/ أحمد عمر هاشم، ص٤٤-٤٥.

ويصف هذا المبشر المتبجح النبي (ﷺ) بأنه ساعي يريد مهمته تنحصر في البلاغ وحمل الرسالة إلى محل الإقامة، وأنه شهواني لأنه تزوج بأكثر من سيدة واحدة، وأن اعتكافه كان لهذه الشهوات(١).

ويقولون أيضًا: أن محمدًا كان بمكة داعية قناعة وزهد، ورغبة عن لذائذ الدنيا وشهواتها، انقلب في المدينة، وقد استقرت به الأحوال إلى رجل لذة لا تكفيه زوجة ولا اثنتان ولا أربع، بل يجمع بين تسعة زوجات، كما زعموا كذلك أن محمدًا الذي جاء بقانون ربه الذي يلزم المسلم بألا يجمع بين أكثر من أربع زوجات، لا يخضع هو لهذا القانون الذي أعلنه للمسلمين وكيف يبيح لنفسه ما يحرم على غيره(٢).

الرد على هذه الشبهات:

أقول أن أكثر هؤلاء المستشرقين يخاصمون الإسلام على السماع والتقليد، ولا يعنيهم أن يفتحوا أذهانهم لبحث ولا فهم، إنما هو التقليد والاتباع، فخصامهم للإسلام ليس إلاً من نوع الشارة التي قد يعلقها الرجل على صدره لمجرد أن يعرف بين الناس انتمائه لجهة معينة، فخصومة هؤلاء للإسلام ليست سوى الرمز الذي يعلنون به هويتهم بين الناس: أنهم ليسوا من هذا التاريخ الإسلامي في شيء وإن ولاءهم إنما هو لهذا الفكر الاستعماري الذي يتمثل فيما يدعو إليه دعاة الاستعمار الفكري من مبشرين ومستشرقين فهذا هو اختيارهم(٣).

---

(١) الإسلام والغزو الفكري: أ/ محمد عبد المنعم، ص٢١٨-٢١٩.

(٢) ما يقال عن الإسلام الأستاذ: العقاد، ص٥٠ وما بعدها، دراسات في الثقافة الإسلام، د/ عمر سليمان الأشقر – ص٢٨٧.

(٣) فقه السيرة: د/ محمد رمضان سعيد البوطي – ص٦٤-٦٥.

فموضوع زواج النبي (ﷺ) من أهون ما يمكن أن يستدل منه المسلم المتبصر، العارف بدينه، والمطلع على سيرة نبيه على عكس ما يروجه خصوم هذا الدين تمامًا.

والواقع الذي لا مرية فيه يؤكد هذه الحقائق:

أولًا: أن الرجل الشهواني لا يعيش إلى الخامسة والعشرين من العمر في بيئة مثل بيئة العرب في جاهليتها، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج من حوله، ولم يؤثر عنه (ﷺ) أنه كان يشارك القوم حتى ولو في حفلاتهم ولهوهم بل قال (ﷺ) عن نفسه: "ما هممت بشيء بما كانوا في الجاهلية يعملونه غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني الله بالرسالة، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معه بأعلى مكة لو أبصرت لي غنمي حتى أدل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال: أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفًا فقلت: ما هذا؟ فقالوا عرس، فجلست أسمع، فضرب الله على أذني، فنمت فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبي، فسألني فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة، ثم ما هممت بعده بسوء"(١)، وهذا يدل على أن الله عز وجل قد عصم نبيه عن جميع مظاهر الانحراف وعن كل ما لا يتفق مع مقتضياه الدعوة التي هيأه الله لها(٢).

ثانيًا: عادة الشباب في مكة أن يتزوج في سن مبكرة، وأن تكون الفتاة قريبة منه في السن، ولكنه (ﷺ) لم يتزوج في سن مبكرة بل تزوج في الخامسة والعشرين، ولم يتزوج فتاة في سنه بل تزوج امرأة أكبر منه في السن.

---

(١) رواه الحكم عن علي بن أبي طالب وقال عنه صحيح على شرط مسلم.

(٢) فقه السيرة: د/ محمد رمضان سعيد البوطي – ص٦٤-٦٥.

ثالثًا: الرجل الشهواني لا يقبل على زواجه من ثيب بل يتزوج بكرًا في سنه لتشبع نهمه ولكنه (ﷺ) تزوج من أيم لها ما يقارب ضعف عمره، ثم يعيش معها دون أن تمتد عينه إلى شيء مما حوله، إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب ثم الكهولة، ويدخل في مدارج الشيخوخة.

رابعًا: الرجل الشهواني يعدد الزوجات في ريعان شبابه، ولكنه (ﷺ) لم يتزوج على السيدة خديجة إلا بعد وفاتها أي بعد أن وصل سنه حين وفاتها بضع وخمسين سنة، فهل من يقضي مع وزجة تكبره بخمس عشرة سنة في مجتمع ينتشر فيه تعدد الزوجات، هل مثل هذا يقال فيه ما زعموا.

خامسًا: إن المتصفح للتاريخ المطلع على أحوال من تزوجهن رسول الله (ﷺ)، يجد أن معظم زيجاته صلوات الله وسلامه عليه كانت لأهداف اجتماعية وإنسانية وتعليمية وسياسية وتشريعية.

(أ) الحكمة الإنسانية الاجتماعية من زواجه (ﷺ):

تتمثل في زواجه (ن):

١- بالسيدة سود بنت زمعة رضي الله عنها.

٢- السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها.

٣- السيدة أم سلمة رضي الله عنها.

أولًا: السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها واسم أبيها:

زمعة بن قيس بن عبد شمس من بني عامر بن لؤي، فهي عامرية قرشية ومات زمعة بمكة قبل الفتح، وهناك مات زوجها، وكانت رضي الله عنها سيدة جليلة، كبيرة السن ثقيلة الحركة لبدانتها[1].

---

(١) الطبقات الكبرى: لابن سعد ٣٦/٨.

ومع كبر سنها وبدانتها تقدم إليها رسول الله (ﷺ) لخطبتها فقالت: أمري إليك، فقال لها: مري رجلًا من قومك يزوجك، فأمر حاطب ابن عمرو وهو ابن عمها، وأول مهاجر إلى الحبشة فزوجها(١).

وكانت السيدة سودة رضي الله عنها، قد رأت في النوم أن رسول الله (ﷺ) وطئ على عنقها، فأخبرت زوجها السكران بن عمرو بذلك، فقال: لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجك محمد(٢).

والحكمة من زواجه (ﷺ) بها لكي يوفر لها الحماية والأمان بعد وفاة زوجها وعائلها السكران بن عمرو، فأراد الرسول (ﷺ) أن يكافئها بعد أن فقدت عائلتها.

وقد دهش أهل مكة لهذه الخطبة – فليس في مثال سودة – المسنة الأرمل غير ذات الجمال، ولذا قالت رضي الله عنها(٣):

"والله ما بي على الأزواج من حرص، ولكني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجًا للرسول، ولكبر سنها تنازلت عن نوتها لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

فقد أخرجه البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله (ﷺ)، إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها، خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت ليلها لعائشة زوج النبي (ﷺ) تبتغي بذلك رضا رسول الله (ﷺ)(٤).

ثانياً: **حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها**:

وأمها: زينب بنت مظعون أخت الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنه وزوجها قبل رسول الله (ﷺ) هو خنيس بن حزافة السهمي وهو أخو عبد الله بن حزافة سفير النبي (ﷺ) إلى كسرى فارس. وزوجها خنيس هاجر

(١) الاستيعاب: لابن عبد البر ٣/٨٢، الطبقات الكبرى ٨/٣٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٨/٣٦، الاستيعاب ٣/٨٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٨/٣٦، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص٢٨٨–٢٨٩.

(٤) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها – كتاب الهبة: باب هبة المرأة لغير زوجها.

إلى الحبشة وشهد بدرًا ومات في غزوة أحد متأثرًا بجراحه[١] فتألم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنته الشابة التي ترملت في الثامنة عشرة من عمرها، فعرضها على أبي بكر فسكت ثم عرضها على عثمان فأبى، فتزوجها رسول الله (ﷺ) ليطيب خاطرها، ويعوضها عن فقد زوجها، ويرضي والدها الذي أعز به الإسلام حتى سماه الرسول (ﷺ) الفاروق فقد روى البخاري أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حزافة السهمي، وكان من أصحاب النبي (ﷺ)، فتوفي بالمدينة، فقال عمر. أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال سأنظر في أمري، فلبث ليالي فقال: بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا.

قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر، فلم يرجع إلى شيء، وكنت أوجد عليه أشد غضبًا عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله (ﷺ)[٢]، فالحكمة من زواجها تعويضًا لها عن فقد زوجها، وتكريمًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على ما قدمه الإسلام والمسلمين.

ثالثاً: **أم سلمة رضي الله عنها**:

واسمها: هند بنت أبي أمية وتكنى بأم سلمة نسبة إلى سلمة ابنها من زوجها عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي وهو ابن عمه النبي (ﷺ): برة بنت عبد المطلب.

وتحت وطأة التعذيب الذي كانت تمارسه قريش لمن يقول ربي الله، هاجر عبد الله وزوجته أم سلمة إلى الحبش وأنجبا هناك ابنهما سلمة الذي كان يكنيان به. وقد شهد أبو سلمة مع النبي (ﷺ) بدرًا واحدًا وأصيب في أحد

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٢٤٥.

(٢) رواه البخاري كتاب النكاح: باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير.

بجرح ولكنه يندمل، وفي صفر سنة أربع يرسل النبي (ﷺ) أبا سلمة على رأس سرية إلى بني أسد، ثم لما رجع انتفض جرحه فمات في جمادى الآخرة من نفس العام، وكانت حينذاك حاملًا بزينب، فلما وضعت أم سلمة زينب، تقدم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخطبتها فاعتذرت، ثم تقدم منها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعتذرت، وبعدها جاءها النبي (ﷺ) خاطبًا(١)، وفي ذلك يروى عن عمر بن أبي سلمة عن أم سلمة أنها قالت: قال أبو سلمة قال لي رسول الله (ﷺ): إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني فيها، وأبدلني ما هو خير منها، فاحتضر أبو سلمة، قال اللهم اخلفني في أهلي بخير، فلما قبض، قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك احتسبت مصيبتي فأجرني فيها.

قالت: وأردت أن أقول وأبدلني خير منها، فقلت ومن خير من أبي سلمة فمازلت حتى قلتها، فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، فبعث إليها رسول الله (ﷺ)، فقالت مرحبًا برسول الله (ﷺ)، أخبر رسول الله (ﷺ) أني امرأة غيري أي شديدة الغيرة وأني مصبية أي ذات صبية، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهدًا فبعث إليها رسول الله (ﷺ): أما قولك أني مصبية فإن الله يكفيك صبيانك، أما قولك أنك غيري فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضي به(٢)" ولعل الحكمة من زواجه (ﷺ) بها مكافأة لها على فقد زوجها في غزوة أحد وإعالة لها ولأولادها.

وكذلك في زواجه منها (ﷺ) ما يطمئن المهاجرين والأنصار على أولادهم بعد استشهادهم، فحين يعلمون أن المسلمين جميعًا وعلى رأسهم سيد الخلق

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/٦١٨، الإصابة ٤/١٥٤.

(٢) الإصابة ٤/١٥٤، الطبقات ٨/٦٣.

يعتبرون رعاية أبناء الشهداء وأراملهم حقًا واجبًا، يقبل المجاهدون على نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله دون خوف أو وجل(١).

٢- **الحكمة الاجتماعية التعليمية**:

وتتمثل في زواجه (ﷺ) بالسيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: وقد كانت رضي الله عنها تلقب بالصديقة بنت الصديق، حبيبة رسول الله (ﷺ)، حبيبة حبيب رسول الله (س).

وكانت رضي الله عنها تكنى بأم عبد الله، وكان (ﷺ) يقول لها يا عائشة، ومن ألقابها الحميراء(٢)، وكانت السيدة عائشة قبل أن يخطبها النبي (ﷺ)، مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدي، وفضت هذه الخطبة لخوف والدي جبير عليه من أن يصبئه أبو بكر، أي يخرجه من دين الأجداد عبدة الأوثان ويدخله الإسلام.

ويروى عن السيدة عائشة أنها قالت: لما ماتت خديجة، جاءت خولة بنت حكيم، فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟ قال: ومن؟ قالت: إن شئت بكر، وإن شئت ثيبًا، قال: من البكر ومن الثيب؟ قالت: أما البكر، فإبنة أحب خلق الله عز وجل إليك: عائشة بنت أبي بكر، قال: ومن الثيب: سودة بنت زمعة قال: فاذكريهما على وتزوج النبي (ﷺ) السيدتين عائشة وسودة في وقت واحد، وقد دخل النبي (ﷺ) بسودة في مكة وتفرد بها ثلاثة أعوام ولم يدخل بالسيدة عائشة إلا بالمدينة المنورة بعد هجرته إليها بعدة شهور(٣).

---

(١) دراسات في السيرة النبوية: د/ سعد المرصفي، ص٢٩٠، فقه سيرة النبي (ﷺ)ص١١٢-١١٣.

(٢) فقه سيرة النبي (ن): ص٥٤.

(٣) حلية الأولياء ٤٣/٢-٥٠، الاستيعاب ١٨٨١/٤-١٨٨٥، صفة الصفوة ١٥-٢٨، الإصابة ١٦/٨-٢٠، فقه سيرة النبي (ن)، ص٥٤-٥٥.

فالحكمة الاجتماعية من زواج النبي (ﷺ) بالسيدة عائشة رضي الله عنها لم يكن إلا مكافأة لوالدها الصديق الذي هاجر مع الرسول (ﷺ)، وأنفق ماله كله في سبيل الله[١].

والحكمة التعليمية من زواجه (ﷺ) بالسيدة عائشة: لأن الله عز وجل يعلم في علمه الأزلي أنها سوف تحفظ سنة النبي (ﷺ) وسوف تعيش فترة كبيرة من العمر بعد وفاة النبي (ﷺ) فتستطيع أن تنقل هذا العلم للأمة من بعده لذلك قال (ﷺ): "خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة"[٢]، وما قيل في فضل علم السيدة عائشة كثير، وما روته من أحاديث كثير أيضًا، والحفظ والرواية يحتاجان إلى ذاكرة قوية، ذاكرة شابة دخلت بيت رسول الله (ﷺ) وهي صغيرة السن، فوعت ما سمعت ورأت ولعل هذا حكمة زواج النبي (ﷺ) بها وهي صغيرة السن حتى تحفظ للمسلمين سنة نبيهم (ﷺ)[٣].

أيضًا من المعلوم أن النبي (ﷺ) كان من أشد الناس حياء وكانت تأتيه أسئلة من النساء وخاصة نساء الأنصار فكان (ﷺ) لا يستطيع الإجابة عليها وكانت التي تجيب عليها السيدة عائشة رضي الله عنها ومن ذلك أن امرأة جاءت إلى النبي (ﷺ) فسألته كيف تتطهر من الحيض قال لها: خذي قطعة من القطن وضعي عليها شيئًا من المسك وتطهري بها، قالت له كيف أتطهر بها، قال لها: تطهري بها، قالت له كيف أتطهر بها قال لها سبحان الله تطهري بها فتقول السيدة عائشة رضي الله عنها فاجتذبتها بيدي وعلمتها كيف تتطهر بها[٤] وهذا كله من الحكمة التعليمية.

---

(١) دراسات في الثقافة الإسلامية، ص٢١٠.
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب حديث ٣٨٨٣.
(٣) فقه سيرة النبي (ﷺ): ص٦٥-٦٦.
(٤) أخرجه الترمذي في سننه عن عائشة رضي الله عنها.

٣- **الحكمة السياسية الإنسانية**:

وتتمثل في زواج النبي (ﷺ) بالسيدة أم حبيبة رضي الله عنها: واسمها رملة بنت أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس وكنيتها أم حبيبة، وحبيبة ابنتها من زوجها عبيد الله بن جحش ابن عمة رسول الله (ﷺ): أميمة بنت عبد المطلب[١]، وزوجها عبد الله بن جحش أو أم المؤمنين زينب بنت جحش ولما هاجر هو وأم حبيبة إلى الحبشة ارتد زوجها عبد الله إلى النصرانية، وحاولت أم حبيبة أن تثنيه عن ذلك جهدها فلم تفلح، بل حاول أن يجرها إلى ما صار إليه فصمدت رضوان الله عليها على عقيدتها[٢] لما علم النبي (ﷺ) بما تعانيه أم حبيبة في غربتها من خيبة أمل في زوجها، ولا عائل لها هناك، قرر النبي (ﷺ) أن يأخذ بيدها ويقيلها من عثرتها، فأرسل عمرو بن أمية الصخري رضي الله عنه إلى النجاشي الحبشة ليخطها له، فلما علمت فرحت فرحًا شديدًا وأهدت من أخبرتها بهذا الخبر سوارين من فضة وخلخالين وخواتيم من فضة سرورًا بما بشرتها به، ووكلت ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وكان خامس الناس إسلامًا، في تزويجها للنبي (ﷺ)[٣] ولما تزوج رسول الله (ﷺ) السيدة أم حبيبة، قيل لأبي سفيان وهو يومئذ مشرك يحارب النبي (ﷺ) والدعوة الإسلامية، إن محمدًا قد تزوج ابنتك، فقال أبو سفيان: ذلك الفحل لا يقرع أنفه[٤] أي أن النبي (ﷺ) كفء كريم لا يرد عن زواج. والحكمة السياسية من زواجه (ﷺ) بها ما يصل بين أبي سفيان قائد جيوش الشرك، وبين الرسول (ﷺ) برباط النسب، وفي ذلك

---

(١) الإصابة ٥٦١/٧، صفة الصفوة ٤٣/٣.

(٢) صفة الصفة ٤٣/٢، فقه سيرة النبي ١٦٤-١٦٦، صفة الصفوة ٤٣/٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٦٨/٨، صفة الصفوة ٤٣/٢، فقه سيرة النبي ص١٦٤.

(٤) صفة الصفوة ٤٥/٢، الاستيعاب ١٩٢٩/٤-١٩٣١.

ما يحمله على تخفيف حدة العداوة ويخرجه من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان.

٤- **الحكمة الدينية السياسية**:

وتتمثل في زواج النبي (ﷺ) بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها: من ذرية بني هارون، من سبط لاوي بن نبي الله إسرائيل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله.

كانت السيدة صفية رضي الله عنها قد تزوجها سلاق بن مشكن القرظي، ثم فارقها فتزوجها كتانة بن الربيع، وكان زواجها من النبي (ﷺ) بعد انتصار المسلمين على يهود خيبر، حيث جمع السبي (يعني سبي خيبر) فجاءه دحية الكلبي: فقال: يا رسول الله أعطني جارية من السبي، فقال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى النبي (ﷺ): فقال: يا نبي الله، أعطيت دحية الكلبي صفية بنت حيي سيد قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها، قال: فجاء بها فلما نظر إليها النبي (ﷺ)، قال: خذ جارية من السبي غيرها، قال: وأعتقها وتزوجها بذلك قد جعل عتقها صداقها(١)، وهذه سنة حميدة فعلها رسول الله (ﷺ) ليقتدي بها أصحابه، وتكون سببًا في إسلام قومها، وعن أنس رضي الله عنه قال: لما أخذ رسول الله (ﷺ) صفية بنت حيي رضي الله عنها، قال لها: هل لك في؟ قالت يا رسول الله، قد كنت أتمنى ذلك في الشرك، فكيف إذ أمكنني الله منه في الإسلام، فأعتقها رسول الله (ﷺ)(٢) وتزوجها.

---

(١) الرسل والملوك للطبري ٣/١٤.

(٢) السمط الثمين ١٠٢.

(ب) **السيدة جويرة بنت الحارث رضي الله عنها**:

واسمها جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية الخزاعية كان اسمها برة قبل زواجها بالنبي (ﷺ) وهو الذي سماها جويرية، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان اسم جويرية بنت الحارث: زوج النبي (ﷺ) بره، فحول رسول الله (ﷺ) اسمها فسماها جويرية(١) وتحدثنا السيدة عائشة رضي الله عنها في ذلك قالت: لما قسم رسول الله سبايا بني المصطلق، وقعت جويرة بنت الحارث في السهم الثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري أو لابن عم له – وكاتبته على نفسها – فأتت رسول الله (ﷺ) تستعينه في كتابتها، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بنت أبي ضرر سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي فقال لها: هل لك في خير من ذلك، قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال لها: قد فعلت، قالت السيدة عائشة: وخرج الخبر إلى الناس، أن رسول الله (ﷺ) تزوج جويرة بنت الحارث فقال الناس أصهار رسول الله (ﷺ)، فأرسلوا ما بأيديهم أي أطلقوا سراح ما بأيديهم من أسرى بني المصطلق إكرامًا لرسول الله (ﷺ) بعد أن صاروا أصهار.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها(٢).

الحكمة التشريعية: وتتمثل في زواجه (ﷺ) بالسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها: واسمها زينب بنت جحش بنت رئاب الأسدي وأمها: أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي (ﷺ) ونظرًا لتفشي عادة التبني وتمكنها من

---

(١) الإصابة ٥٦٥/٧-٥٦٦، صفة الصفوة ٤٩/٢-٥١، الاستيعاب ١٨٠٤/٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٧/٦، أسد الغابة ٥٧/٧.

المجتمعات العربية وحتى بعد الإسلام لدرجة أنه (ﷺ) وهو القدوة للناس – هو أول من يهدم هذه العادة.

فقد دب الخلاف بين زينب وزيد متبني الرسول، وأخبر الله نبيه بأن زيدًا سيطلق زينب وستتزوجها لأبطال عادة التبني، فلما جاء زيد يشكو من سوء معاملة زينب قال له الرسول (ﷺ) أمسك عليك زوجك.

وخشي عليه الصلاة والسلام ملامة الناس، كيف يتزوج محمد حليلة متبناه، فأخبره الله ألا تخشى ملامة الناس، إنما عليه أن يخشى الله فقط(١)، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾(٢).

ولقد صرح الله عز وجل الحكمة التشريعية من هذا الزواج فقال: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾(٣).

وأما ما قاله أعداء الإسلام من أن الرسول (ﷺ)جاء بقانون سماوي وهو عدم الزيادة على أربع لقوله تعالى: ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾(٤).

ولم يلزم نفسه به على حين ألزم به أتباعه فقد أباح لنفسه ما حرمه على غيره.

---

(١) دراسات في الثقافة الإسلامية: ص٢٩٤.

(٢) سورة الأحزاب: آية رقم ٣٧.

(٣) سورة الأحزاب: آية رقم ٣٧.

(٤) سورة النساء: آية رقم ٣.

الرد على ذلك: أقول: أن هذا الكلام لا أساس له من الصحة للأمور الآتية:

١- أن الله سبحانه وتعالى لا معقب لحكمه ولا راد لأمره قال تعالى: ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ ﴾(٢)، فللمشرع سبحانه أن يخص رسوله الكريم بما شاء إكرامًا له وليس لنا أن نعترض أو نعقب أو نجادل قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيم﴾ (٣).

لأمته نصيب منها ومن هذه الأمور:

(أ) الوصال في الصوم أي مواصلة الصوم يومين فأكثر بلا إفطار فقد كان (ﷺ)يواصل وفي الوقت نفسه ينهي أمته عن الوصال بقوله "إياكم والوصال"(٤).

(ب) تحريم زوجات النبي (ﷺ) على أتباعه من بعده حيث يقول سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (٥).

(ج) من المعلوم أن حظ أتباع النبي (ﷺ) من تعدد الزوجات كان أوفر من حظ الرسول (ﷺ)، فالواحد منهم يتزوج أربعة يستبدل بهن من يشاء، فقد يطلقهم جميعًا ويتزوج أحسن منهن، وقد يغير من لا تعجبه، ولكن المصطفى (ﷺ) كان معه تسع زوجات أكثرهن غير مرغوب فيهن من حيث الجمال،

---

(١) سورة الأنبياء: آية رقم ٢٣.
(٢) سورة البقرة: آية رقم ١٧٧.
(٣) سورة الحجرات: آية رقم ١
(٤) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.
(٥) سورة الأحزاب: الآية رقم ٥٣.

وحرم الله عليه مع ذلك أن يتزوج عليهن، أو يستبدل بواحدة منهن زوجة أخرى، قال الله تعالى: ﴿ لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾(١).

وبهذا يتبين أنه (ﷺ) برئ من تهم المبطلين وشبهات المشككين الذين لا هم لهم إلا النيل من ذاته وتشويه تشريعه، بدافع الحمق الأعمى والتعصب الذميم.

(١) سورة الأحزاب: الآية رقم ٥٣.

شبهات على أزواج النبي (ﷺ)

نذكر من أزواج النبي (ﷺ) زوجتان وهما:

الأولى: **السيدة عائشة رضي الله عنها**:

ونكتفي بما قاله أعداء الإسلام عليها رضي الله عنها، فهم يسبونها باللفظ النابي الذي ينم عن انحطاط التربية وخسة النفس وهو الزنا مع صفوان بن المعطل رضي الله عنه(١).

يقولون أيضًا تدعيمًا لهذه الشبهة: "وأبطأ الوحي وطال الأمر والناس يخوضون حتى بلغت القلوب الحناجر وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس "إني لا أعلم عنها إلا خيرًا" ثم إنه بعد أن بذل جهد في التحري والسؤال واستثارة الأصحاب، ومضى شهر بأكمله والكل يقولون: ما علمنا عليها من سوء لم يزد على أن قال لها آخر الأمر: "يا عائشة أما إنه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله"(٢).

الرد على هذه الشبهة:

هذه الشبهة باطلة للأمور الآتية:

أولًا: أننا نحن المسلمين نبرئ الصديقة السيدة عائشة رضي الله عنها لأن الله برأها في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ

(١) رد مفتريات على الإسلام: د/ عبد الجليل شلبي: ص٥٤.

(٢) النبأ العظيم: د/ محمد عبد الله دراز: ص٣٩.

مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ* لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ* لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ* إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ* وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ* إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ............. إلخ

قوله تعالى: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (١).

هذه الآيات وضحت الأمور الآتية:

١- بينت براءة السيدة عائشة بل وشملت براءة بيت النبوة كله من كل ما يشين "الخبيثات للخبيثين... والطيبات للطيبين..."

ومن أطيب من رسول الله (ﷺ).

٢- أوضحت الآيات أن جميع أمهات المؤمنين من أهل الجنة ﴿ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢).

٣- احتراز المسلم من الخوض في أعراض الناس وسيرهم، والتحقق من كل ما يسمعه الفرد أو يقرؤه، ولا ينساق وراء كلمات طنانة وشعارات جوفاء.

---

(١) سورة النور: آية رقم ١١-٢٦.

(٢) سورة النور: آية رقم ٢٦.

٤- التنبيه خطورة المنافقين في المجتمع وما يروجونه من سموم، وكذلك خطر المغرضين المسلمين اسمًا، الذين ينالون في كتاباتهم. من الشخصيات والقيادات الإسلامية الرشيدة. وأجمع العلماء على أن المنافق يعامل في الدنيا من قبل المسلمين على أنه مسلم وسبب ذلك أن الأحكام الإسلامية في مجموعها تتكون من جانبين: جانب يطبق في الدنيا ويكلف أو رئيس الدولة. وجانب آخر يطبق في الآخرة ويكون أمره عائدًا إلى الله. فأما الجانب الأول فيقوم على الأدلة القضائية المادية والمحسوسة بحيث لا يترتب شيء من نتائج الأحكام إلا بموجبها، فليس للأدلة الوجدانية أي أثر في هذا الجانب. وأما الجانب الثاني فيقوم على ما استقر في القلوب واستكن في الصدور، ومرد القضاء في ذلك إلى الله تعالى، ولبيان هذه القاعدة يقول (ﷺ)"إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى به على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فلا يأخذ منه شيئًا فإنما هو قطعة من النار[(١)].

وتطبيقًا لهذه القاعدة، كان رسول الله (ﷺ) رغم اطلاعه على كثير من أحوال المنافقين وما تسره أفئدتهم بوحي من الله تعالى، يعاملهم معاملة المسلمين دون أي تفرقة في الأحكام الشرعية العامة.

وهذا لا ينافي أن يكون المسلمون في حذر دائم من المنافقين، وأن يكونوا في يقظة تامة أمام تصرفاتهم[(٢)].

<u>ثانيًا:</u> من الأدلة أيضًا على براءتها: أنها زوج رسول الله (ﷺ) المعروف في قومه الصادق الأمين العفيف، تبيت وتصبح في بيت النبوة، أخذت تعاليم الدين عن النبي (ﷺ)، وأخذت عنه الورع والتقوى والعفة.

---

(١) رواه الترمذي في سننه.

(٢) فقه السيرة: د/ محمد سعيد رمضان البوطي: ص٢٤٦-٢٤٧.

الأدلة على ذلك كثيرة منها:

١- قال ابن إسحاق الأعمى: دخلت على عائشة فاحتجبت مني فقلت تحتجبين مني ولست أراك قال: وإن لم تكن تراني فإني أراك[١].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت عمي من الرضاعة يستأذن علي فأبيت أن أذن له فقال رسول الله (ﷺ): فليلج عليك عمك، فقلت: إنما أرضعتني المرأة أي امرأة أخيه، ولم يرضعني الرجل فقال: إنه عمك فليلج عليك[٢].

٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أدخل البيت الذي دفن فيه رسول الله (ﷺ) وأبي رضي الله عنه واضعة ثوبي وأقول: إنما هو وزجي وهو أبي، فلما دفن عمر رضي الله عنه معهم، والله ما دخلته إلا مشدود على ثيابي حياء من عمر رضي الله عنه، وكانت رضي الله عنها من فرط حيائها تحتجب من الحسن والحسين سبطي رسول الله (ﷺ)[٣].

ثالثًا: من الأدلة أيضًا: أنها مسلمة نشأت في بيت مسلم، وبين أبوين مسلمين فهي بنت رجل أنفق ماله كله في سبيل الله تعالى، رجل يقطع ليلة تهجدًا وقرآنا وتسبيحًا، رجل هم بقتل ابنه لأنه لم يسلم وحارب المسلمين، رجل لم يرتكب هذه الفاحشة حين كان الناس في بلده يستبيحونها، وبيته كله معروف بالطهارة والنقاء ولهذا قال رضي الله عنه عندما سمع هذا الحديث.

"ما فعلناها في الجاهلية فكيف نفعلها في الإسلام"[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد: ص٨.
(٢) السمط الثمين: ص٦٢.
(٣) السمط الثمين: ٦٢.
(٤) رد مفتريات على الإسلام.

رابعًا: من الأدلة: أنها رضي الله عنها كانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق والرسول (ﷺ) قال: "ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد"(١).

وما قيل في فضل علم السيدة عائشة رضي الله عنها كثير منها:

١- قول الزبير بن العوام رضي الله عنه: ما رأيت أحدًا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله عنها(٢).

٢- وأخرج الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قوله: ما أشكل علينا أصحاب محمد (ﷺ) حديث قط فسألنا عائشة إلا ووجدنا عندها منه علمًا(٣).

٣- وأخرجه الترمذي قوله (ﷺ): "خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة"(٤).

٤- عقد بعض العلماء موازنة بين السيدة خديجة والسيدة عائشة رضي الله عنها وأكتفي بما قاله أبو إمامة النقاش: أن سبق السيدة خديجة رضي الله عنها وتأثيرها في أول الإسلام وموازنتها ونصرتها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه أحد لا عائشة ولا أحد غيرها من أمهات المؤمنين. وتأثير عائشة في حمل الدين وتبليغه للأمة ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها(٥).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) حلية الأولياء: ج٢، ص٤٩.

(٣) حلية الأولياء: ج٢، ص٤٩.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب حديث رقم ٢٨٨٣.

(٥) فقه سيرة نساء النبي (ن): ص٦٦.

٥- ولعل الحكمة في زواج النبي (ﷺ) بالسيدة عائشة رضي الله عنها وهي صغيرة حتى تحفظ للمسلمين سنة نبيهم (ﷺ)(١).

<u>خامسًا:</u> إنها رضي الله عنها اتهمت مع صفوان بن المعطل رضي الله عنه الذي لم يتهم في بغي ولا ساقطة من جاهليته، فكيف يتهم مع أشرف النساء وأعراقهن نسبًا، إنه كما ثبت في تاريخه قوام الليل، مجاهد في سبيل الله، فهل مثل هذا يقدم على مثل هذه المعصية، أنه يقتدي برسول الله (ﷺ) ويتخذه إمامًا، فكيف يخونه في زوجه(٢).

<u>سادسًا:</u> وأخيرًا نقول يكفي في الرد عليهم أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت من أحب الناس إلى رسول الله (ﷺ) والدليل على ذلك:

١- عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال لرسول الله (ﷺ) أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالاً(٣).

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله من أحب الناس إليك قال: ولم؟ قلت: لأحب من تحب. قال: عائشة(٤).

٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله من أزواجك في الجنة؟ قال: أما إنك منهن(٥).

---

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية: ص١٥٠.
(٢) رد مفتريات على الإسلام: د/ عبد الجليل شلبي، ص٥٤-٥٦.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢٠٠٣/٤.
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١٧/٤٤/٢٣.
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٣٩/٣٣، وطبقات ابن سعد ٦٥/٨.

٤- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما تزوجني رسول الله (ﷺ) حتى أتاه جبريل بصورتي: فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة وقد تزوجني وإني لجارية على حرف، فلما تزوجني أوقع الله على الحياء"[١].

٥- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي النبي (ﷺ) في بيتي وفي نوبتي، وبين سحري ونحري، وجمع الله بين ريقي وريقه قالت: دخل عبد الرحمن بسواك فضعف النبي (ﷺ) عنه، فأخذته، فمضغته، ثم سننته به[٢].

- وأخيرًا نذكر قوله (ﷺ) في فضل السيدة عائشة على النساء: لو جمع علم نساء هذه الأمة، فيهن أزواج النبي (ﷺ)، كان علم عائشة أكثر من علمهن[٣].

الثانية عن السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها:

ولم يثر المستشرقون ومن تبعهم من ضعاف النفوس من الأباطيل والأكاذيب كما أثاروا حول زواجه (ﷺ) من زينب بنت جحش، ومن هؤلاء يوحنا الدمشقي، الذي لقن طائفة كبيرة من أنصاره قصصًا وأخبارًا مزورة عن النبي (ﷺ)، وطلب منهم أن ينشروها ويروجوها بين المسلمين، ويعملوا على إدخال الآراء المشككة المحيرة بين المسلمين، كالقصة التي زعموها عن عشق النبي (ﷺ) لزينب بنت جحش رضي الله عنها زوجة زيد بن حارثة رضي الله عنها[٤] ونص الرواية التي جاءت في الرسل والملوك للطبري. ذهب النبي (ﷺ) إلى بيت زيد يطلبه، وعلى باب زينب ستر من شعر رفعه الهواء، فرآها الرسول (ﷺ)حاسرة فأعجب بها، ودعته إلى الدخول فأبى

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤/٩، أخرجه أبو يعلي ٤/٤٠٧.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب ما جاء بيوت أزواج النبي (ﷺ)٣١٠٠٠.
(٣) أخرجه الطبري في المعجم الكبير ٢٣/١٨٤.
(٤) التبشير والاستشراق: للمستشار/ محمد عزت الطهطاوي، ص٤٦.

(ﷺ)، لما علم بعدم وجود زيد في البيت، وبعد انصراف النبي (ﷺ)، يعود زيد إلى بيته، وتخبره زوجته بسؤال الرسول (ﷺ)، فيدور بينهما حوار حول نصه.

زيد: ألا قلت له أدخل.

زينب: قد عرضت عليه ذلك فأبى.

زيد: فسمعته يقول شيئًا.

زينب: سمعته يقول حين ولى: سبحان الله العظيم، سبحان الله مصرف القلوب. بعد ذلك يخرج زيد إلى حيث يلقي رسول الله (ﷺ)، ويدور بينهما حوار هذا نصه:

زيد: يا رسول الله، بلغني أنك جئت منزلي، فهلا دخلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها.

النبي: أمسك عليك زوجك واتق الله(١).

وأخفى الرسول (ﷺ) حبها في نفسه خوفًا من الناس، فعاتبه ربه وبين له أن خشية الله وعدم حب زوجة رجل آخر أولى من خشية الناس يقولون ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾(٢).

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري ٥٦٢/٣، فقه سيرة نساء النبي (ن): ص١٣٨-١٣٩، شبهات وأباطيل خصوم الإسلام: أ/ عبد القادر أحمد عطا: ص٤٥.

(٢) سورة الأحزاب: آية رقم ٢٧.

الرد على هذه الشبهة:

هذا الذي قالوه محض افتراء يكذبه الواقع للأمور الآتية:

١- لأن زينب بنت جحش رضي الله عنها ابنة عمة رسول الله (ﷺ)، تربت بين سمعه وبصره، رآها من قبل، ويعرف مقدارها جمالًا، وهي عنده في مقام ابنته بحكم السن.

٢- ما الذي منعه عليه الصلاة والسلام من الإقدام على زواجها وهي بكر لم تتزوج، والعادة أن الرغبة في البكر أكثر، ولم يكن يمنعه من هذا الزواج مانع؟

٣- لم تأخر حبه لها حتى رآها في بيت الزوجية؟ اللهم إلا أن قال: إنه الحب يعتري الإنسان ويهبط عليه فجأة وبلا مقدمات، كما هو الحال في الأمراض ونزلات البرد، وهذا ما لم يقل به عاقل، فكلنا يعلم أن للحب أسبابًا ومقدمات.

٤- ثم إنه (ﷺ) هو الذي زوج زينب لزيد وأصدقها من ماله، فقد حدث أن زيد بن حارثة، كان عبدًا لخديجة رضي الله عنها، واستوبه منها الرسول (ﷺ)، فوهبته إياه، وآمن زيد فكان أول من أسلم من المولى. ولشدة حبه لرسول الله (ﷺ) اختار الرق معه على الحرية مع قومه الذين قدموا ليأخذوه.

وكان الرسول (ﷺ) قد خيره بين الذهاب معهم أو البقاء عنده وأحبه الرسول (ﷺ)، وتبناه على عادة العرب حتى صار يدعني زيد ابن محمد.

وأراد الرسول (ﷺ) أن يزوج زيدًا، فوقع اختياره عليه الصلاة والسلام. على زينب ابنة عمته لتكون زوجًا لزيد، ورفضت زينب ورفض أخوها، بحجة أنها الحسيبة القرشية، كيف تتزوج من كان عبدًا، ولكن إرادة الرسول نفذت

لإبطال عادة العرب في التفاخر بالأنساب، وأن يكون درسًا عمليًا في المساواة بين المسلمين – كما أمر الله[1] لذلك جاءت الآية تبين ذلك.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ [2]، فما كان من عبد الله بن جحش وأخته زينب ألا أنيذعنا لأمر الله.

– وقد كانت عادة التبني متفشية لدى العرب، ونظرًا لتفشي هذه العادة وتمكنها في المجتمعات العربية وحتى بعد الإسلام، لدرجة أنه (ﷺ) تبنى زيدًا وأصبح ابنه مع علمهم بأبيه فكانوا يقولون: زيد بن محمد.

– ثم نزل أمر الله تعالى بعد ذلك أن يدعى المتبنى إلى أبيه حيث يقول تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾[3].

– ونظرًا لذلك أراد الله سبحانه أن يكون رسوله الكريم، وهو القدوة للناس، هو أول من يهدم هذه العبادة.

– فقد دب الخلاف بين زينب وزيد، وأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن زيدًا سيطلق زينب وستتزوجها لإبطال عادة التبني.

---

(١) فقه سيرة نساء النبي (ﷺ): أ/ سعيد هارون عاشور: ص١٢٨-١٣٠ بتصرف، أزواج النبي (ﷺ): للإمام محمد الدمشقي: ص١٨٢-١٨٣، دراسات في الثقافة الإسلامية: د/ سعيد المرصفي: ص٢٩١-٢٩٤، شبهات وأباطيل خصوم الإسلام: محمد متولي الشعراوي، جمع وترتيب: عبد القادر أحمد عطا: ص٤٥.

(٢) سورة الأحزاب: آية رقم ٣٦.

(٣) سورة الأحزاب: آية رقم ٥٠.

– فلما جاء زيد يشكو من سوء معاملة زينب قال له الرسول (ﷺ) مع سابق علمه: أمسك عليك زوجك، وخشية ملامة الناس، كيف يتزوج محمد حليلة متبناه؟ فأخبره الله ألا يخشى ملامة الناس إنما عليه أن يخشى الله فقط قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾[1].

– ولقد أوضح الله سبحانه أنه هو الذي زوج الرسول (ﷺ)، وأوضح الحكمة من هذا الزواج بما لا يدع مجالًا للشك[2]، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ [3]، فعن أنس رضي الله عنه أن هذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾[4]، نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة، جاء زيد يشكو، فهم بطلاقها فاستأمر النبي (ﷺ)، فقال النبي (ﷺ): أمسك عليك زوجك واتفق الله، فقال أنس: لو كان رسول الله (ﷺ) كاتمًا شيئًا لكتم هذه الآية[5].

---

(١) سورة الأحزاب: آية رقم ٣٧.

(٢) دراسات في الثقافة الإسلامية: د/ علي أحمد السالوسي: ص٢٩٣-٢٩٤، فقه سيرة نساء النبي (ن): أ/ سعيد هارون عاشور: ص١٢٨-١٣٠ بتصرف، شبهات وأباطيل خصوم الإسلام: ص٤٥-٤٦.

(٣) سورة الأحزاب: آية رقم ٣٦.

(٤) نفس الآية السابقة.

(٥) أخرجه البخاري في التفسير، باب وتخفي في نفسك ما الله مبديه..) حديث رقم ٤٧٨٧، والبيهقي في دلائل النبوة ٣/٤٦٦.

شبهات حول دعوته (ﷺ)

الشبهة الأولى:

يقول الأب لامانس الذي ملأ كتبه افتراءات كاذبة عن النبي (ﷺ) ومنها قوله: إن محمدًا نبي محلي جاء للعرب فقط"[١].

ويقول ديمونييه في كتابه الإسلام والسياسة المعاصرة: إن الإسلام دين محلي في حين المسيحية دين عالمي ويجب أن ينتشر في الأرض ويفرض نفسه بالقوة في كل مكان[٢].

الرد على هذه الشبهة:

نقول لهم: إن كنتم آمنتم بنبوة محمد (ﷺ) فيجب عليكم الإيمان بأنه مرسل إلى الناسة كافة، لأن الله سبحانه وتعالى أخبر بذلك في كتابه الكريم، ولأن النبي (ﷺ) أخبر بذلك، والرسل لا تكذب، فإن لم تؤمنوا بذلك فقد كذبتموه مع زعمكم أنه نبي وهذا تناقض ظاهر فكل رسول قبل نبينا محمد (ﷺ) كان يرسل إلى قومه خاصة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾[٣].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[٤].

قال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[٥].

---

(١) لامانس: مهد الإسلام – ص٤، الإسلام والغزو الفكري – ص٤.

(٢) الإسلام والسياسة المعاصرة: ص١١، الإسلام والغزو الفكري: الأستاذ محمد عبد المنعم – ص٩٨.

(٣) سورة نوح: آية رقم ١.

(٤) سورة هود: آية رقم ٨٤

(٥) سورة الفرقان: آية رقم ١.

وأرسل نبينا محمد (ﷺ) إلى الناس كافة، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وديارهم وأزمانهم والأدلة على ذلك كثيرة.

١- **الأدلة من القرآن الكريم على عموم بعثته** (ﷺ):

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٦).

وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٧).

---

(١) سورة الأنبياء: آية رقم ١٠٧.

(٢) سورة الفرقان: آية رقم ١.

(٣) سورة القلم: آية رقم ٥٢.

(٤) سورة الأنعام: آية رقم ١٩.

(٥) سورة سبأ: آية رقم ٢٨.

(٦) سورة الأعراف: آية رقم ١٥٨.

(٧) سورة الأحزاب: آية رقم ٤٠.

٢- **الأدلة من السن النبوية على عموم رسالة** (ﷺ):

أ- قوله (ن): "أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث لقومه خاصة وبعثت للناس كافة، وأعطيت الشفاعة"(١).

ب- ودخل رجل على النبي (ﷺ) في وسط أصحابه وقال له أيكم محمد فقالوا له: هذا هو المتكئ بين أظهرنا فقال له يا ابن عبد المطلب الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال له الرسول (ﷺ) نعم"(٢).

جـ- من المعلوم أن النبي (ﷺ) لم يرسل إلى أهل مكة فقط بل ذهب إلى الطائف يدعوهم إلى الله، وهاجر إلى المدينة وحينما استقر به الحال أرسل رسله إلى ملوك وحكام العالم يدعوهم إلى الله فمثلًا أرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس في مصر وبعث معه رسالة فيها:

"من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط.. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم القبط ثم قرأ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. رقم ٢٩٩ – طبعة الكويت.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ.

وكما أقبلت الوفود تسعى إلى رسول الله (ﷺ) لإعلان إسلامها فقد أخذ هو أيضًا يبعث رسله يتفرقون في شتى الجهات فمثلًا أرسل (ﷺ) أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن ووصاهما قائلًا: يرا ولا تعسرا بشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا" وقال لمعاذ: إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإن ليس بينه وبين الله حجاب"(١).

ومعنى ذلك أن مسؤولية الإسلام في أعناق المسلمين في كل عصر أن القيام بحق هذه الدعوة في داخل البلدة التي يقم بها المسلمون وخارجها فرض كفارة على كل المسلمين، ولا ي تحللون من مسؤوليته إلا بقيام جمهرة منهم تنتشر فيما تستطيع أن تنتشر فيه من الجهارة والبلدان داعية إلى الله تعرض حجج الإيمان وبراهين الإسلام، وتزيل ما قد يعترض أذهان الناس إلى ذلك من الشبه والوسوسة المختلفة، وما لم تتوفر هذه الفئة في كل بلدة من بلاد الإسلام فجميع أهل تلك البلدة آثمون، وهذا الواجب لا يشمل الذكور فجط بل يشمل الذكور والنساء والأحرار والعبيد كل حسب حدود مكانته ووسائل استطاعته(٢).

الشبهة الثانية:

يوجد لدى بعض من الجهلاء توهم معيب أن المسلمين قد بلغوا اليوم حالة من الضعف والانحدار، وأن ما عاد ينفع معهم دعوة ولا وعظ إذ أن الدنيا قد

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) مغني المحتاج ٤/٣١١، فقه السيرة للبوطي: ٤٧٨-٤٧٩.

فسدت وأن الزمان قد أوشك على الانتهاء، وأن الساعة بين قاب قوسين أو أدنى ثم يقولون:

ماذا نستطيع أن نفعل ونغير.. والحكومات اللادينية في بلاد الإسلام تتآمر على أنظمة الإسلام، وتلاحق الإسلاميين بالبطش والقتل والاعتقال والتنكيل.

ماذا نستطيع أن نفعل ونغير.. والقوى العالمية من شيوعية ورأسمالية وصهيونية وصليبية تتآمر على بلاد الإسلام، وتسيطر بنفوذها وأساليبها على مواقع المسلمين الاستراتيجية الهامة.

ماذا نستطيع أن نفعل ونغير والعملاء في الداخل لا يهدؤون سرًا وجهارًا في محاربة الإسلام وأهله، والتشكيك بعلمائه ودعاته، وإيغار الصدور على قيمه وأمجاده.

ماذا نستطيع أن نفعل ونغير ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في أكثر بلاد الإسلام توجه نحو الفساد والميوعة، وتهذأ بالأخلاق والقيم.

وبعد هذا كله يقولون فلا تجدي دعوة لهداية الناس، ولا لزوم لنشر الإسلام في العالم المعاصر،÷ ولا فائدة من العمل الإسلامي، ولا أمل أبدًا في التغيير السياسي إذ أن هذا يعتبر مضيعة للوقت والجهود، والأجدر بالعقلاء أن يلزموا بعد اقتراب الساعة محاربهم.

وخير للمسلم في هذا الزمان – بزعمهم – أن يخرج ببعض غنيمات يتبع بها شعف الجبال، يفر بدينه من الفتن حتى يدركه الموت وهو على ذلك(١).

---

(١) عقبات في طريق الدعاة: أ/ عبد الله ناصح علوان – القسم الأول – ص٢٢٢ وما بعدها، الدعوة إلى الإسلام ووسائلها: د/ سليمان الدبشة: ص١٠-١١.

استدلالتهم:

لعلى أظهر ما يحتجون به هذان الحديثان:

الحديث الأول: ما رواه أبو داود عن أبي أمية قال له قلت يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾(١). فقال: أما والله لقد سألت عنها خبير. سألت عنها رسول الله (ﷺ): "ايتمروا بالمعروف، وانتهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودينًا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسه، ودع عنك أمر العوام"(٢).

الحديث الثاني: ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): "يوسك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شغف الجبال أي رؤوسها، ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن"(٣).

الرد على هذه الشبهة:

١- أن الله تعالى حرم اليأس وندد باليائسين فقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُون﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّون﴾(٥).

٢- أن الله عز وجل سمى هذه الزمرة اليائسة بالمعوقين المثبطين، قال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ

---

(١) سورة المائدة: آية رقم ١٠٥.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الملاحم: باب الأمر والنهي عن عتبة بن أبي حكيم رقم: ٣٨٣٩.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب من الدين الفرار من المتن – عن أبي سعيد الخدري رقم: ١٩.

(٤) سورة يوسف: آية رقم ٨٧.

(٥) سورة الحجر: آية رقم ٥٦.

الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾(١).

٣- إن هذه الطائفة اليائسة عندما تتبنى هذه الوجهة من اليأس إنما تدل على هلاكها قبل كل شيء وليس على هلاك المسلمين لقول النبي (ن): "من قال: هلك النس فهو أهلكهم"(٢) بفتح الكاف على أنه فعل ماضي أي كان سببًا في هلاكهم باستعلاله عليهم وسوء ظنه بهم وتيئيسهم من روح الله، أو بضم الكاف أي أشدهم وأسرعهم هلاكًا بغروره وإعجابه بنفسه واتهامه لهم"(٣).

٤- أن هذه الشبهة التي حصلت للدعاة في العصر الحديث حصلت لأقوام سالفين قضى الله لنا من أخبارهم، وكيف أن الدعاة إلى الله تعالى ردوا عليهم شبهتهم قال الله تعالى في شأن ذلك: ﴿ وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُون * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُون﴾(٤).

والآية الكريمة تشير إلى أهل قرية صاروا ثلاث فرق:

- فرقة ارتكبت المعاصي.
- فرقة أنكرت عليهم ووعظتهم.

---

(١) سورة الأحزاب: آية رقم ١٨-١٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه.

(٣) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف: د/ يوسف القرضاوي، ص٥٢.

(٤) سورة الأعراف: آية رقم ١٦٤.

- فرقة سكتت عنهم فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة "لم تعظون قاما الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا" أي لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيكم إياها.

فقالت الفرقة المنكرة بالجواب الصحيح "معذرة إلى ربكم" أي فيما أخذ علينا من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن نعتذر إلى ربنا لا نملك إلا أن ندعو العصاة للإقلا عن معصيتهم.

- ولعلهم يتقون أي ولعل هذا الإنكار عليهم ودعوتنا إياهم للإنابة إلى ربهم والرجوع إليه بعودتهم إلى الاستجابة.

وفي هذا إشارة إلى أنه ما دام هناك احتمال قبول الدعوة فلابد من استمرار الوعظ والإرشاد، والدعوة إلى الله تعالى ليحيا من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة"(١).

٥- أما استدلالهم بالآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ وبالحديث الأول وفيه (عليك بنفسك ودع عنك أمر العوام)(٢).

فقول لهم:

أ- أن هذا الوهم تسرب إلى البعض في زمن الصديق أبي بكر رضي الله عنه لذلك خطب يومًا رضي الله عنه ليرفع هذا الوهم بقوله (يا أيها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (٣) وإني سمعت رسول الله (ﷺ)

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ووسائلها: د/ سليمان الدبشة: ص١٠-١١.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) سورة المائدة: آية رقم ١٠٥.

يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب"[١].

ب- وهناك من يقول:

"فعليك بنفسك، ودعك عنك أمر العوام"[٢].

أن المسلم الداعية إذا رأى في نفسه، ونفس غيره من أبناء مجتمعه شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودينًا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه... فعليه أن يبدأ بإصلاح نفسه من هذه الآفات.. حتى إ ذا صلحت واستقامت قام بمسؤوليته في إصلاح غيره، وهداية مجتمعه.. لأن فاقد الشيء لا يعطيه أبدًا[٣].

٦- أما الرد على الحديث "يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شغف الجبال"[٤] أقول:

إن هذا الحديث لا يصح أن يكون دليلًا على العزلة لسببين:

أ- أن المقصود من الفتن من يفتن في دينه ويجبر على الردة.

ب- أن هذه الحال لا تنطبق على المسلمين اليوم، باعتبارهم كثرة، وباعتبارهم يؤدون الشعائر، فلا يجوز لهم شرعًا أن يغروا بدينهم ويؤثروا العزلة لأن ما لا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب.

---

(١) سنن الترمذي: الذبائح، أبواب الفتن عن رسول الله (ن)، ما جاء في نزول العذاب رقم ٢١٨٨.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) عقبات في طريق الدعاة: ص٢٣٥-٢٣٩ بتصرف.

(٤) الحديث سبق تخريجه.

لذا وجب على المسلمين اليوم أن يقيموا في بلادهم حكم الله، ويحققوا ولو أن العزلة الاجتماعية مشروعة في الإسلام لأمر النبي (ﷺ) أصحابه بل عندما اشتد عليهم الأذى والاضطهاد من قريش أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة، مما يدل على أن النبي (ﷺ) كان ينهى عن العزلة والانطوائية.

هذه الأحاديث ومنها[١]:

أ- قوله (ﷺ): "المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم"[٢].

ب- وأراد رجل من صحابة رسول الله أن يعتزل الناس فقال له النبي (ﷺ): "لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة"[٣].

الشبهة الثالثة:

يقول المثبطون: فيم هذا العذاب الذي لقيه الأنبياء عليهم السلام وكذلك النبي (ﷺ) وصحابته الكرام رضي الله عنهم وكذلك الدعاة إلى الله تعالى إلى يومنا هذا ونحن نعلم جميعًا أنهم كانوا على الهدي المستقيم ولماذا لم يعمهم الله ويهلك عدوهم من المشركين والكافرين والمنافقين ومن وقف ضدهم.

الرد على هذه الشبهة:

أن أول صفة للإنسان في الدنيا أنه مكلف، أي أنه مطالب من قبل الله عز وجل بحمل ما فيه كلفه ومشقة، وأمر الدعوة إلى الإسلام والجهاد لإعلاء

(١) عقبات في طريق الدعاة: د/ عبد الله ناصح علوان: ص٢٣٨-٢٣٩.
(٢) سنن الترمذي: الذبائح: أبواب حنفة القيامة حديث رقم ٥٢٤٤.
(٣) سنن الترمذي: الذبائح: أبواب فضائل الجهاد عن أبي هريرة حديث رقم ١٦٤٨.

كلمة من أهم متعلقات التكيف، والتكيف من أهم لوازم العبودية لله تعالى، إذ لا معنى للعبودية لله تعالى إن لم يكن ثمة تكليف.

وعبودية الإنسان لله عز وجل ضرورة من ضروريات ألوهيته سبحانه وتعالى – فقد استلزمت العبودية إذًا التكليف، واستلزم التكليف تحميل المشاق ومجاهدة النفس والأهواء. ومن أجل هذا كان واجب عباد الله في هذه الدنيا تحقيق أمرين اثنين:

١– التمسك بالإسلام وإقامة المجتمع الإسلامي الصحيح.

٢– سلوك السبل الشاقة إليه واقتحام المخاطر وبذل المال والنفس من أجل تحقيق ذلك.

أي أن الله عز وجل كلفنا بالإيمان بالآية، وكلفنا إلى جانب ذلك بسلوك الوسيلة الشاقة الطويلة إلى هذه الغاية مهما بلغت المسألة في صعوبتها"[(١)].

وإذا فإن ما يلاقيه الدعاة إلى الله تعالى والمجاهدون في سبيل إقامة المجتمع الإسلامي، سنة إلهية في الكون منذ فجر التاريخ تقتضيها حكم ثلاث:

أولًا: صعوبة العبودية الملازمة للإنسان: لله عز وجل وصدق الله إذ يقول ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[(٢)].

ثانيًا: صفة التكليف المتفرعة عن صفة العبودية، فما رجل أو امرأة يبلغ أحدهما عاقلًا، سن الرشد إلا وهو مكلف من قبل الله عز وجل بحقيقة شريعة الإسلام في نفسه، وتحقيق النظام الإسلامي في مجتمعه، على أن يتحمل في سبيل ذلك كثيرًا من الشدة والأذى حتى يتحقق معنى التكليف.

---

(١) فقه السيرة للبوطي: ص١٠٧–١٠٨.

(٢) سورة الذاريات: آية رقم ٥٥.

ثالثًا: إظهار صدق الصادقين وكذب الكاذبين، فلو ترك الناس الدعوة إلى الله تعالى، لاستوى الصادق والكاذب ولكن الفتنة والابتلاء هما الميزان الذي يميز الصادق عن الكاذب"[١].

وصدق الله تعالى إذ يقول في محكم كتابه ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين﴾ [٢].

وقال أيضًا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِين﴾[٣].

من أجل ذلك أوذي رسول الله (ﷺ)، وأوذي من قبله الأنبياء والمرسلون، وأوذي أصحاب رسول الله (ﷺ)، وأوذي الدعاة المخلصين من بعدهم حتى مات منهم من مات تحت العذاب وعمى من عمى"[٤].

فما على الدعاة في كل وقت أن يعلموا أن من طبيعة الدعوات الصراع، ومن طبيعة الصراع الابتلاء، ومن طبيعة الابتلاء تمحيص الذين يسيرون على طريق الدعوة هل يثبوت أم ينهزمون، وفي حالة الثبات والصبر، فإن الله أعد للصابرين المجاهدين في يوم الخلود ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[٥].

---

(١) فقه السيرة للبوطي: ص١٠٧-١٠٨.
(٢) سورة العنكبوت: آية رقم ١-٣.
(٣) سورة آل عمران: آية رقم ١٤٢.
(٤) فقه السيرة: ص١٠٨.
(٥) عقبات في طريق الدعاة: ص١٨١.

قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[١].

١- ولذا، فإنه لا ينبغي للمسلم أن يتوهم الياس، إذا ما عنى شيئًا من المشقة أو المحنة بل العكس هو الأمر المنسجم مع طبيعة هذا الدين أي أن على المسلمين أن يستبشروا بالنصر كلما رأوا أنهم يتحملون مزيدًا من الضر والنكبات سعيًا إلى تحقيق أمر ربهم عز وجل"[٢].

والدليل على ذلك حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه: لما جاء إلى النبي (ﷺ) قال: شكونا إلى رسول الله (ﷺ) وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديث ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون"[٣].

٢- بل إن النبي (ﷺ) بين أن الأذى الذي يصيب المسلم دليل محبة الله تعالى له فقال (ﷺ): "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، من رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط"[٤].

٣- وبين أيضًا أن الخير ديدن المؤمن في كل ما يصبه من سراء أو ضراء فقال (ﷺ): "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كل خير، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن،

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم ١٩٥.

(٢) فقه السيرة: ص١٠٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه عن خباب بن الأرت: حديث رقم ٤١.

(٤) رواه الترمذي في سننه عن أنس رضي الله عنه.

إذا أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن إصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"(١).

٤- وقررت السنة أيضًا أن المصيبة التي تنزل بالمؤمن تكفر من خطاياه مهما كانت كثيرة لقوله (ﷺ): "ما يصيب المسلم من نصب ولا وحب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه"(٢).

٥- وحين يضع الداعية نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون﴾(٣).

مما سبق يتبين أن حياة النبي (ﷺ): هي المنهاج التفصيلي لحياة الفرد والمجتمع المسلم، يقول الدكتور القرضاوي: "ومن واجب المسلمين أن يعرفوا هذا المنهاج النبوي المفصل بما فيه من خصائصض الشمول والتكامل والتوازن والتيسير... وهذا يوجب عليهم أن يعرفوا كيف يحسنون هذه السنة الشريفة، وكيف يتعاملون معها فقهًا وسلوكًا، كما تعامل معها خير أجيال هذه الأمة... ثم يقول إن أزمة المسلمين الأولى في العصر هي أزمة فكر وأخطرها أزمة فهم السنة والتعامل معها، وخصوصًا من بعض تيارات الصحوة الإسلامية وقد روى عن الرسول (ﷺ): ما يشير إلى ما يتعرض له علم النبوة على أيدي الغلاة والمبطلين والجهال(٤).

(١) رواه مسلم في صحيحه عن صهيب بن سنان رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) سورة التوبة: آية رقم ٥١.
(٤) المدخل لدراسة السنة النبوية: د/ يوسف القرضاوي: ص٩٤.

وذلك فيما رواه ابن جرير عن النبي (ﷺ) قوله: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"(١). ففي هذا الحديث جاء التحذير من آفات ثلاث:

١- تحريف أهل الغلو:

فهناك التحريف الذي يأتي عن طريق الغلو والتنطع والتنكب عن الوسطية الذي تميز بها هذا الدين، إنه الغلو الذي هلك به من قبلنا من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾(٢).

وقال (ﷺ): "إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم باللغو في الدين"(٣).

٢- انتحال أهل الباطل:

فلما عجز أهل الباطل عن إضافة شيء إلى القرآن، حاولوا أن يدخلوا على المنهج النبوي ما ليس منه، وأن يلصقوا به من المحدثات والمبتدعات ما تأباه طبيعته وترفضه عقيدته وشريعته، ولكن جهابزة الأمة قعدوا لهم كل مرصد، وسدوا عليهم كل منافذ الانتحال، فلم يقبلوا حديثًا بغير سند، ولم يقبلوا سند دون أن يشرحوا رواته واحدًا واحدًا، حتى تعرف عينه ويعرف حاله من مولده إلى وفاته، ومن أي حلقة هو، ومن شيوخه ومن رفاقه، ومن تلاميذه وما مدى أمانته وتقواه ومدى حفظه وضبطه، ومدى موافقته للثقات المشاهير أو انفراده بالغرائب لهذا قالوا الإسناد من الدين ولولا

---

(١) مفتاح دار السعادة: لابن القيم الجوزية: جزء ١ – ص١٦٣.

(٢) سورة المائدة: آية رقم ٧٧.

(٣) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنه – حديث رقم ٣٦٨.

الإسناد لقال من شاء ما يشاء"[١]، ولذلك ينبغي لكل مسلم أن يستوثق من ثبوت السنة وصحتها حسب الموازين العلمية الدقيقة التي وضعها الأئمة والتي تشمل السند والمتن جميعًا.

٣- **تأويل أهل الجهل**:

فهناك سوء التأويل الذي به نشوه حقيقة الإسلام ويحرف فيه الكلم عن مواضعه كما حاول أهل الباطل أن يدخلوا فيه ما ليس منه أو يؤخروا ما حقه أن يقدم، أو يقدموا ما حقه أن يؤخر، وهذا التأويل السيء من شأن الجاهلين بهذا الدين الذين لم يشربوا روحه فليس لهم من الرسوخ في العلم ما يعصمهم من الزيغ والانحراف في الفهم، وهذا ما يجب التنبيه له والتحذير منه، ووضع الضوابط الضرورية للوقاية من الوقوع فيه، ومعظم الفرق الهالكة والطوائف المنشقة عن الأمة، إنما أهلكها سوء التأويل"[٢].

يقول ابن القيم في كتابه الروح:

" ينبغي أن يفهم عن الرسول (ﷺ) مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده، وما قصده من الهدي والبيان وقد خص بإهمال ذلك، والعدول عنه من الضلال عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع.. وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والروافض وسائر الطوائف أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله وعن رسوله (ﷺ)[٣].

---

(١) المدخل لدراسة السنة النبوية: د/ يوسف القرضاوي: ص٩٥-٩٦.

(٢) المرجع السابق: ص٩٧.

(٣) الروح: لابن القيم الجوزية: ص٤، المدخل لدراسة السنة النبوية: د/ يوسف القرضاوي، ص٩٦-٩٧.

خاتمة:

مما سبق يتبين أن حياة النبي (ﷺ): هي المنهاج التفصيلي لحياة الفرد والمجتمع المسلم.

ومن واجب الدعاة والمسلمين أن يعرفوا هذا المنهاج النبوي المفصل بما فيه من خصائصض الشمول والتكامل والتوازن والتيسير... وهذا يوجب عليهم أن يعرفوا كيف يحسنون هذه السنة الشريفة، وكيف يتعاملون معها فقهًا وسلوكًا، كما تعامل معها خير أجيال هذه الأمة...

وإن أزمة المسلمين الأولى في هذا العصر هي أزمة فكر وأخطرها أزمة فهم السنة والتعامل معها، وخصوصًا من بعض تيارات الصحوة الإسلامية ما يشير إلى ما يتعرض له علم النبوة على أيدي الغلاة والمبطلين والجهال.

ومن واجب المسلمين: إنشاء المنظمات الإسلامية المختلفة التي تخدم الإسلام وتكون مهمتها كشف أساليب التبشير المسيحي ومؤتمرات المبشرين والمستشرقين، وإحصاء أغاليطهم، وتعقب الكتب التي تصدر عنهم أولًا بأول مع الرد عليهم ونشره على العالمين.

ومن واجبهم أيضًا: إيجاد الحلول العلمية إرسال البعوث العلمية التي ترسلها الجامعات العربية إلى مدارس الاستشراق في أوروبا وأمريكا، إذ يعودوا منها المبعوثون وهم يحملون بحمله من الآراء الضعيفة المشتملة على كثير من الفساد

ومن هنا يتم محاربة والرد على نظريات المستشرقين المغرضة .و القيام بالدعوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم

و يجب أن يجذ له الشخصيات المفكرة الواعية العاملة، وأن توضع تحت تصرفها الإمكانات الواسعة من الأموال ووسائل الإعلام والدعاية والنشر"

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

- القرآن الكريم.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير القرطبي.
- تفسير المنار.
- فيض القدير: للشوكاني.
- تفسير الألوسي.
- تفسير فخر الرازي.
- تفسير الكاشف.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي.
- تفسير أحكام القرآن: لابن العربي.
- تفسير آيات الأحكام: لمحمد علي الصابوني.
- كتب السنة مثل (البخاري – مسلم – الترمذي – ابن ماجه – موطأ مالك – مسند أحمد – ... إلخ).
- إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي – القاهرة – دار الشعب.
- المغني: لابن قدامة – بتعليق: السيد رشيد رضا – ط. ٣ – دار المنار – مصر.
- أحكام القرآن: للجصاص – دار الكتاب العربي – بيروت.
- نيل الأوطار للشوكاني – ط ٢ – مصطفى الحلبي – القاهرة – سنة ١٣٧١هـ.
- الموسوعة الفقهية: إصدار وزارة الأوقاف بالكويت.
- فقه السنة: للشيخ/ سيد سابق – المكتب الإسلامي.
- الرسالة: للإمام الشافعي.
- الأحكام: لابن حزم.

- خلق المسلم: للشيخ/ محمد الغزالي – دار الكتب الإسلامية – بالقاهرة.
- أصول الدعوة: د/ عبد الكريم زيدان – مؤسسة الرسالة – بيروت.
- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين: للشيخ/ محمد الغزالي – دار الكتب الحديثة – القاهرة.
- رد مفتريات على الإسلام: د/ عبد الجليل شلبي – دار القلم – الكويت.
- دستور الأخلاق في القرآن: د/ محمد عبد الله دراز – تحقيق: د/ عبد الصبور شاهين – مؤسسة الرسالة – بيروت.
- الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة: أ/ أبو الأعلى المودودي – دار القلم – الكويت.
- فقه السيرة: د/ محمد رمضان سعيد البوطي.
- الإسلام والغزو الفكري: د/ محمد عبد المنعم خفاجي – دار الجيل – بيروت.
- أزواج النبي (ﷺ): تضعيف/ الإمام محمد بن يوسف الدمشقي – تحقيق/ محمد نظام الدين – دار ابن كثير دمشق.
- الرسول (ﷺ)في كتابات المستشرقين: أ/ نذير حمدان – دار المنارة – جدة – السعودية.
- فقه سيرة نساء النبي (ﷺ)مواقف وقضايا: أ/ سعيد هارون عاشور – دار الرقي – بيروت.
- الوحي المحمدي: أ/ محمد رشيد رضا – مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
- نبي الإسلام: شخصيته – حياته – رسالته: أ/ محمد خير الدرع – مكتبة الأسد – دمشق.
- التبشير والاستشراق أحقاد وحملات: المستشار/ محمد عزت الطهطاوي – الزهراء الإعلام العربي.
- شبهات وأباطيل خصوم الإسلام: أ/ عبد القادر أحمد عطا – دار الجيل – بيروت.

- أجنحة المكر الثلاثة: د/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني – دار القلم – دمشق.
- دراسات في الثقافة الإسلامية: د/ سعد الدين المرصفي – مكتبة الفلاح – الكويت.
- الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة: د/ محمد السيد الجليند – دار قباء – القاهرة.
- الاستشراق والمستشرقون: أ/ عدنان محمد وزان.
- موقف المسلم من الدراسات الاستشراقية.
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د/ مصطفى السباعي – المكتب الإسلامي – بيروت.
- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي: د/ عبد العظيم محمود الدين – كتاب الأمة قطر.
- رؤية إسلامية للاستشراق: أ/ أحمد عبد الحميد عزاب – المنتدى الإسلامي للكويت.
- سيرة ابن هشام تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مؤسسة الرسالة – بيروت.
- عبقرية محمد: أ/ عباس محمود العباس – دار القلم – بيروت.
- الرسول (ﷺ)في كتابات المستشرقين: أ/ نذير حمدان.
- السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين: د/ رؤوف شلبي – دار القلم – الكويت.
- مكانة السنة في الإسلام: د/ محمد أبو زهرة – دار الطباعة – بيروت.
- السنة النبوية وعلومها: د/ أحمد عمر هاشم – مكتبة غريب بالفجالة – القاهرة.
- شبهات وأباطيل خصوم الإسلام: أ/ عبد القادر أحمد عطا – مكتبة ابن كثير.

- عقبات في طريق الدعاة: د/ عبد الله ناصح علوان – دار السلام للطباعة والنشر – القاهرة.
- الدعوة إلى الإسلام ووسائلها: د/ سليمان الدبشة – دار الطباعة المحمدية – القاهرة.
- الطبقات الكبرى: لابن سعد – دار صادر – بيروت.
- الاستيعاب: لابن عبد البر – تحقيق: علي البجاوي.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير – كتاب الشعب.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني – دار النهضة – مصر.
- صفة الصفوة: لابن الجوزي – دار المعرفة – بيروت.
- حلية الأولياء: لأبي نعيم – دار الكتب العلمية – بيروت.
- إعلام الموقعين لابن القيم الجوزية – دار الصفوة – القاهرة.
- الروح: لابن القيم الجوزية – دار الصفوة – القاهرة.
- زاد المعاد في هدي خير العباد – دار القلم – الكويت.
- الموافقات: للإمام الشاطبي – دار الفضيلة – القاهرة.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:
• alquran alkarim.
• tafsir aibn kathirin.
• tafsir alqurtubii.
• tafsir almanari.
• fayd alqadir : lilshuwkani.
• tafsir al'alusi.
• tafsir fakhr alraazi.
• tafsir alkashif .
• aldurthur fi altafsir bialmathur alsuyuti.
• tafsir altatbiqat alqurani: liabn alearabii.
• tafsir ayat alqada'i: limuhamad eali alsaabuni.
• kutub alsunat mithl (albukharii - muslim - midhi - abn majah - muataa malik - musnad 'ahmad - ... 'iilkh).
• euqul aldiyn: li'abi hamid alghazalii - alqahirat - dar alshaebi.
• almughni: liabn qudamat - bitaeliqi: alsayid rashid rida - ta. 3 - dar almanar - masr.
• tanzil alqurani: aljasas - dar alkitaab alearabii - bayrut.
• nil al'awtar lilshuwkanii - t 2 - mustafaa alhalabi - alqahirat - sanat 1371h.
• almawsueat alfiqhiatu: 'iisdar wizarat al'awqaf bialkuayti.
• fiqh alsanatu: lilshaykhi/ sayid sabiq - almaktab al'iislamiu.
• alrisalatu: lil'iimam alshaafieii.
• alhukm : liabn hazm.
• khalaq almuslim : lilshaykhi/ muhamad alghazalii - dar alkutub al'iislamiat - bialqahirihi.
• 'usul al'ahdathi: da/ eabd alkarim zaydan - muasasat alrisalat - birut.
• aldifae ean aleaqidat walsharieat dida mataein almustashriqina: lilshaykhi/ muhamad alghazalii - dar alkutub alhadithat - alqahirati.
• radin muftarayat ealaa al'iislami: da/ eabd aljalil shalabi - dar alqalam - alkuayti.
• dustur al'akhlaq fi alqurani: du/ muhamad eabd allah aldiraz - tahqiqu: da/ eabd alsabur shahin - muasasat alrisalat - birut.
• al'iislam fi muajahat altahadiyat almueasirati: 'a/ 'abu al'aelaa almududii - dar alqalam - alkuayti.
• fiqh alsiyrat aldhaatiatu: du/ muhamad ramadan saeid albuti.
• al'iislam walghazw alfikri: du/ muhamad eabd almuneim khafajii - dar aljil - bayrut.
• fardi alnabiu (□): wadaeifi/alsultan muhamad bin yusuf aldimashqiu - tahqiqu/ muhamad nizam aldiyn - dar abn kathir dimashqu.

• alrasul (□) fi kutub almustashriqina: 'a/ nadhir hamdan - dar almanarat - jidat - alsaeudiati.
• fiqh sirat nisa' alnabii (□)mawaqif waqadaya: 'a/saeid harun eashur - dar alruqii - bayrut.
• alwahy almuhamadiu : 'a/ muhamad rashid rida - muasasat eizi aldiyn liltibaeat walnashri.
• nabiu al'iislami: mawtuh - hayatuh - risalatuhu: 'a/ muhamad khayr aldire - maktabat al'asad - dimashqu.
• albashir liltishraq 'ahqad wahamalatu: almustashari/ muhamad eizat altahtawi - alzahra' al'iielam alearabii.
• shubhat wa'abatil khusum al'iislami: 'a/ eabd alqadir 'ahmad eata - dar aljil - bayrut.
• 'ajnihat almakr althalathati: da/ eabd alrahman hasan habankat almustashfaa - dar alqalam - dimashqu.
• dirasat fi althaqafat al'iislamiati: du/ saed aldiyn almursafii - maktabat alfalah - alkuaytu.
• aliastishraq walbashir basamat naqrat mujizata: du/ muhamad alsayid aljilind - dar qibaya' - alqahirati.
• alashiraq walmustashriquna: 'a/ eadnan muhamad wazan.
• mawqif almuslim min aldirasat aliastishraqiati.
• alsunat wamakanatuha fi alqanun al'iislamii: du/ mustafaa alsubaei - almaktab al'iislamiu - bayrut.
• almumarasat fi alkutub algharbiat ean altaarikh al'iislamii: da/ eabd aleazim mahmud aldiyn - kitab al'umat qatru.
• ruyat 'iislamiat lilaistishraqi: 'a/ 'ahmad eabd alhamid eazaab - almuntadaa al'iislamiu lilkuayti.
• sirat aibn hisham tahqiq muhamad muhyi aldiyn eabd alhumayd - muasasat alrisalat - birut.
• eabqariat muhamad: 'a/ eabaas mahmud aleabaas - dar alqalam - bayrut.
• alrasul (□) fi kutub almustashriqina: 'a/ nadhir hamdan.
• alsunat al'iislamiat bayn 'iithbat alfahimin warafd aljahilina: da/ rawuwf shalabi - dar alqalam - alkuayti.
• makanat alsunat fi al'iislami: du/ muhamad 'abu zahrat - dar altibaeat - bayrut.
• alsunat alnabawiat waeulumaha: du/ 'ahmad eumar hashim - maktabat gharib bialfajaalat - alqahirati.
• shubuhat wa'abatil khusum al'iislami: 'a/ eabd alqadir 'ahmad eata - maktabat abn kathirin.
• eaqabat fi tariq aldueaati: da/ eabd allah nasih eulwan - dar alsalam liltibaeat walnashr - alqahirati.
• 'ahdath altaarikh 'iilaa alnasraha: du/ sulayman aldabshat - dar altibaeat almuhamadiat - alqahirati.
• altabaqat alkubraa: liaibn saed - dar sadir - bayrut.
• ahdif: liabn eabd albiri - tahqiqu: ealii albajawi.
• 'asad alghabat fi maerifat alsahabati: liabn al'athir - kitab alshaebi.

•shahr fi tamyiz alsahabat liabn hajar aleasqalanii - dar alnahdat - masr.
• sifat alsafwati: liabn aljawzii - dar almaerifat - bayrut.
• hilyat al'awlia'i: li'abi naeaym - dar alkutub aleilmiat - bayrut.
• 'iielam almawqie liaibn alqiam aljawziat - dar alsafwat - alqahirati.
• alruwha: liaibn alqiam aljawziat - dar alsafwat - alqahirati.
• zad almuead fi hady khayr aleibadat - dar alqalam - alkuayti.
•muafaqati: lil'iimam alshaatibii - dar alfadilat - alqahirati.
Show less